قلعة محمد على

لا قلعة نابليون

بحث تاريخي أثري

بقلم

محمد عبد الجواد الأصمعي

بدار الكتب المصرية

محلّى بنبذة تاريخية ممتعة عن المدارس الحربية والمعامل العسكريه وحالة الجيش المصري (البري والبحري) في عهد "محمد على"

بقلم

حضرة صاحب السمو الأمير الجليل "عمر طوسون"

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م

قلعة محمد على

لا قلعة نابليون

بحث تاريخى أثرى

بقلم

محمد عبد الجواد الأصمعى

بدار الكتب المصرية

محلى بنبذة تاريخية ممتعة عن المدارس الحربية والمعامل العسكرية وحالة الجيش المصرى (البرى والبحرى) فى عهد " محمد على "

بقلم

حضرة صاحب السمو الأمير الجليل " عمر طوسون "

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م

أنظر فهرس المحتويات فى آخر الكتاب



إهداء بحث قلعة محمد علي

إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول

أدام الله عرشه

مولاي :

لبث علماء التاريخ والمتطلعون لدراسة الآثار في مصر وغيرها حيناً من الدهر يقولون إن القلعة المشيدة بذروة المقطم هي من عمل القائد الفرنسي الشهير (نابليون) ولما كان الباطل زهوقاً والحق لا تحجبه الأوهام فقد اهتديت عند اعتلاء جلالتكم على عرش المملكة المصرية إلى تحقيق هذه المسألة التاريخية تحقيقاً يقينياً بعد أن اختلفت فيها الأقوال وتباينت من أجلها الآراء، ووجدت بعد طول البحث وكثرة التنقيب أن هذه القلعة من عمل مجدد مصر ومحييها جدكم العظيم الساكن الجنان المغفور له محمد علي باشا الكبير رأس البيت الملكي الكريم فبادرت بنشر هذا التحقيق على اختلاف اللغات ولما توج هذا العمل بشرف القبول أقدمت على طبعه في كتاب خاص في عصر جلالتكم الزاهر مصدراً باسمكم الكريم ورسمكم العظيم مثبتاً فيه كل ما قالته الصحف العربية والإفرنجية والله أسأل أن يشمل هذا البحث بعطف جلالتكم السامي أيدكم الله بروح من عنده وحرس ولي عهدكم المرجى لمستقبل مصر صاحب السمو الملكي "الأمير فاروق" إنه سميع مجيب

العبد الخاضع المطيع
محمد عبد الجواد الأصمعي

تبارك الله ما أبهاك من ملك حلو السجايا عظيم الملك والشان



مَلِيكُ مِصْرَ "فُؤَادُ" وَرِيثُ عَرْشِ "مُحَمَّدْ"
أَعَادَ مَجْدَ أَبِيهِ لِلنِّيلِ وَالْعَوْدُ "أَحْمَدْ"

[أحدث صورة لجلالة الملك المعظم ، تصوير المسيو هنزلمان مصور البيت الملكى السامى]

مؤسس البيت الملكى الكريم ساكن الجنان المغفور له

"محمد على باشا الكبير"

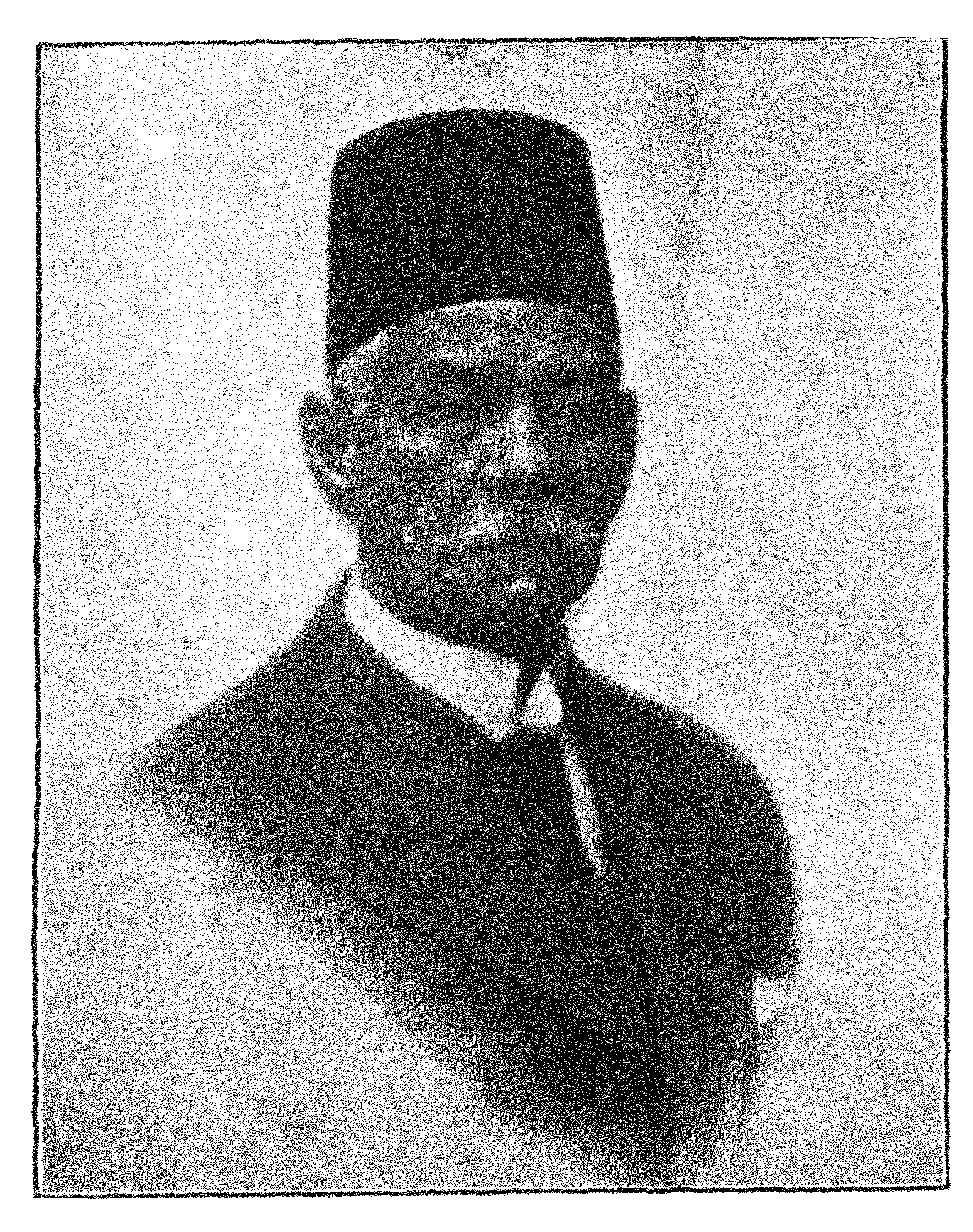
منقـذ	مصر	تاريخ توليته على مصر :
٨٩٠	٣٣٠	سـنة ١٢٢٠ هجرية .



هـذا "مُحَمَّدُ" كم بَنَى من "قلعةٍ" ليـذود عنّـا ما نخافُ من الردَى

شاد العـدالةَ والعلومَ بأرضـنا وبَنَى "الحصونَ" لصَون ما قد شيَّدَا

*



رئيس الحكومة الجليل وزعيم الأمة المفدّى ذو الرياستين حضرة صاحب الدولة
"سعد زغلول باشا"

[تصوير المسيو هنزلمان الشهير مصور العائلة الملكية الفخمة]

*

بسم الله الرحمن الرحيم

"الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله"

(وبعد) ففى الجهة الشرقية لمدينة القاهرة، خلف قلعة صلاح الدين الأيوبى يوجد بقمّة جبل "المقطم"(1) بالقرب من مسجد "الجيوشى"(2) : قلعة باذخة الأركان، شامخة البنيان، لبث علماء التاريخ ، والمنقطعون لدراسة الآثار فى مصر، وغيرها، حينا من الدهر، يقولون : إنها من عمل عظيم الفرنسيس "نابليون" (Napoléon) وقد قامت بشأنها فى سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) ضجة عظيمة على صفحات الجرائد العربية : بين يومية وأسبوعيه، من طلبة المدارس الثانوية والعالية، ومحبّى إحياء الآثار المصرية ، لمعرفة حقيقة هذه التسمية ، ولماذا سُمّيت القلعة بهذا الاسم ؟ فطلبوا من لجنة حفظ الآثار العربية ، وصاحب العزة الشيخ محمد الخضرى بك وكيل مدرسة القضاء الشرعى، وأستاذ التاريخ بالجامعة المصرية يومئذ : أن يرشداهم إلى تلك الحقيقة التى عُمّيت عليهم ، خصوصا لشهرة الأستاذ بكثرة طوافه فى ذلك الحين مع طلبة الجامعة — التى هى من أكبر المعاهد العلمية بمصر — حول الآثار العربية والأبنية الفاخرة المصرية، وأنه مرّ بها عند زيارته لمسجد "الجيوشى" بصحبة طلبة الجامعة، ورسم معهم هناك صورة شمسية فى يوم الجمعة، بتاريخ ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٣٥ هـ (١٩ يناير سنة ١٩١٧ م) [وهى التى ترى خلف هذه الصفحة] ولقد أحدثت

(1) قد أفردنا نبذة تاريخية جيولوجية عن هذا الجبل فى رحلتنا المسماة : "الغابة المتحجرة" .

(2) قد أفردنا أيضا نبذة تاريخية عن هذا المسجد ، واختلاف المؤرخين فى تسميته ، و بيان صحة ذلك ، وفصّلنا كل هذا فى رحلتنا السابقة .



الجالسون من اليمين إلى اليسار مع حفظ الالقاب : (١) *

(٢) حسن الدجانى افندى . (٣) الدكتور عبد الحميد سامى افندى . (٤) *

(٥) المرحوم الشيخ أحمد عماره . (٦) عبد المؤمن الحكيم افندى . (٧) الدكتور حسن ابراهيم افندى .

(٨) محمد زكى الدين السويفى افندى . (٩) الشيخ زكى مبارك . (١٠) الشيخ محمد على النويرى .

الصف الثانى من اليمين إلى اليسار : (١) على مظهر افندى . (٢) المرحوم الشيخ محمد صلاح سند .

(٣) الشيخ حسن مأمون . (٤) الشيخ عبد الحميد فتحى . (٥) الشيخ عبد الباقى ابراهيم . (٦) فضيلة الشيخ محمد الخضرى بك (٧) عبد العزيز الحلاوى افندى . (٨) محمد شادى افندى . (٩) الشيخ حسن حمزة . (١٠) الشيخ شيمى على محمد . (١١) الدكتور أحمد البيلى افندى .

الصف الثالث من اليمين إلى اليسار : (١) فضيلة الشيخ عبد الوهاب عزام . (٢) الأستاذ عبد الحميد العبادى افندى . (٣) الشيخ عبد الفتاح عزام . (٤) كرلس المنقبادى افندى (٥) *

(٦) محمد سامى الطوبجى افندى . (٧) الشيخ محمد ناصف . (٨) الشيخ عبد الله ابراهيم حبيب .

(٩) *

ملاحظة — الأرقام التى بجوارها هذه النجمة (*) لم نوفق إلى معرفة أسماء أصحابها .

هذه القلعة لكثرة زوّارها، وتعدّد قصادها: رجة كبيرة بين جدران المدارس، ومعاهد العلم، حتى تناقلتها أفواه الطلبة بمدارسهم الثانوية والعالية، وتحدّثوا بذكرها فى غرف التدريس أثناء إلقاء الدروس بسؤال معلميهم، وكادوا ينسون بها قلاع: "أنفرس" (Anvers) و"ليـاج" (Liége) و"نامور" (Namur) و"ليـل" (Lille)

فى الحرب العالمَية الكبرى. ولذا تناولتها أقلام الكتّاب، وفاضت بها قرائح الشعراء، لسكوت فضيلة "الشيخ الخضرى" عن الجواب مدّة طويلة؛ ولو أجاب فضيلة "الأستاذ" فى حينه بما كان يقوله حفَظة الأمانة من علماء الإسلام: "لا أدرى!" أو "ما المسئول بأعلم من السائل!" لما أصابه من وابل أقلام الكتاب: لوم أو عتاب. وآتبع فى ذلك ما قاله الإمام محيى الدين الكافِيَجىّ فى كتاب، "التيسير فى قواعد علم التفسير" إذ قال: «سئل آبن عمر عن شىء، فقال: لا أدرى، ثم قال بعد ذلك: طوبى لآبن عمر، سئل عن شىء لا يُدْرَى، فقال: "لا أدرى".

§ وسئل أبو حنيفة عن الدهر منكّرا فيمن حلف لا يكلم زيدا، فقال: "لا أدرى مقداره" فتوقّف فى الحكم أيضا، لتوقفه فى مقدار الدهر منكّرا».

§ إلا أنه تمادى فى السكوت، فكان ذلك هو الداعى فى إثارة هذه الضجة الكبيرة التى كانت سببا فى آستنهاض هِمَم الباحثين، حتى كُشف القناع عن حقيقة مشيِّد هذه القلعة. [ترى صورتها الشمسية، وصورة الطريق الموصّل إليها خلف هذه الصفحة].

§ فقد آهتدينا بعد طول البحث، وكثرة التنقيب: إلى أنها من عمل مُمَدِّن مصر ومحييها، ساكن الجنان المغفور له: "محمد على باشا الكبير" رأس البيت الملكىّ الكريم، حتى صدق فيه قول من قال:

همُ الملوك إذا أرادوا ذكرها * من بعدهم، فبِألسُن البنيان.

إن البناء إذا تعاظم قدره: * أضحى يدل على عظيم الشان!



قلعة "محمد علي"



طريق قلعة "محمد علي"

[نقلا عن مقتطف مارس سنة ١٩١٨ م]

§ ولما كان ظهور هذه الحقيقة التاريخية ، يعدّ "آستكشافا فى التاريخ" بادرنا بنشرها بين المحبين لمصر، من أهلها، ومن غيرهم، فى جميع الصحف العربية والإفرنجية. وقد أثبتنا النص الفرنسى لهذا البحث التاريخى فى آخر الكتاب، مصدّرا بكلمة الإهداء باللغة الفرنسية أيضا .

§ وقد تجلّى هذا البحث التاريخى للإ أجمع، باختلاف اللغات، وآهتمت بنشره معظم الصحف والمجلات، وأيدته لجنة حفظ الآثار العربية بجوابها الرسمى بتاريخ ٩ جمادى الثانية سنة ١٣٣٧ هـ (١١ مارس سنة ١٩١٩ م) رقم (٦٠٥) وأمرت بتسجيل هذه القلعة تحت رقم (٤٥٥)، وآعتمدته مصلحة المساحة المصرية بجوابها الرسمى بتاريخ ١٦ جمادى الأولى سنة ١٣٤١ هـ (٣ يناير سنة ١٩٢٣ م) رقم (A/١٠٨)، وأصدر جناب مديرها العام المستر: ل. ب. ولدن (L. B. Weldon) التعليمات اللازمة لوضع آسم : " قلعة محمد على " على خرائط هذه المصلحة .

§ ولما سطع نوره، وأضاءت شمسه، فى بدء عهد حضرة صاحب الجلالة مليكنا المعظم "الملك فؤاد الأوّل" وآرتقائه عرش "المملكة المصرية" بادرنا بتقديمه إلى جلالته متوّجا برسمه الجليل، ومحلًّى باسمه الكريم، فى كتاب جمع بين دفّتيه : مهارة المصرى فى التصوير، وإبداعه فى النقش والتلوين، وجودته فى الخط، وجمال ذوقه فى التجليد، فتشرف بالقبول، وحاز رضاء جلالته، ونال الفخر بحفظه بمكتبة جلالته الخاصة .

§ ولمناسبة ظهور هذا البحث التاريخى، عند آرتقاء حضرة صاحب الجلالة مليكنا المعظم : عرش الأريكة المصرية، كتبنا هذين البيتين :

مَلِيكُ مِصرَ "فُؤادٌ" * وَرِيثُ عَرشِ "مُحَمَّدْ"

أعادَ مجدَ ابيه * للنِّيلِ والعَوْدُ "أَحْمَدْ"

§ ولما رأينا مع الفخر، أنّ هذا البحث نال آستحسان جلالته، وشرفه
— أدام الله ملكه — بالقبول، لا سيما وقد آتخذته جميع الصحف والمجلات:
فاتحة يُمن لآرتقاء جلالته عرش "المملكة المصرية" عزمنا على طبعه فى كتاب خاص
شامل لجميع ما أمكننا العثور عليه من أقوال الصحف، والمجلات العربية والإفرنجية
٥ لهذا البحث؛ اللهم إلا بعض مالم نطلع عليه . ومتضمنا المكاتبات التى دارت بيننا
و بين الدوائر الرسمية فى هذا الموضوع، وقد حليناه بعدّة صور وخرائط، قضينا السنين
الطوال فى سبيل الحصول عليها، حتى آستوفيناه من كل الوجوه .

§ ولشدّة آرتباط هذا البحث التاريخى، بالحالة العسكرية فى أيام "محمد على"
آختتمنا صفحاته بنبذة تاريخية ثمينة، دبّجها يراع حضرة صاحب السموّ الأمير الجليل
١٠ "عمر طوسون" عن المدارس الحربية والمعامل العسكرية، وحالة الجيش المصرى
(البرى والبحرى) فى عهد "محمد على" وقد نشرناها بإذن خاص من سموّه، مشفوعة
بكل شكر و إجلال .

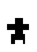
§ وتذكارا لعيد جلوس مليكنا المعظم السعيد، الموافق ٢٨ صفر سنة ١٣٤٢ هـ
(٩ اكتوبر سنة ١٩٢٣ م) رفعنا أمنيّة طبع هذا الكتاب إلى جلالته، فورد إلينا
١٥ من حضرة صاحب المعالى " سعيد ذى الفقار باشا " كبير الأمناء بأنها :
« رفعت إلى المسامع العلية الملكية، فنالت القبول، و إنى أبلغكم ذلك
مع الشكر السامى » عندئذ بدأنا طبعه بمطبعة "دار الكتب المصرية" بعد أن
تفضلت اللجنة العلمية بها، وهى التى يرأسها العالم الكبير والجهبذ المفكر : حضرة
صاحب العزة الأستاذ " أحمد لطفى السيد بك " مدير دار الكتب المصرية ،
٢٠ بقبول طبع هذا الكتاب بمطبعة الدار .

§ وإننا نقدمه إلى الأمة المصرية الناهضة، التواقة إلى المجد والعلياء، النزاعة الى الحرية والاستقلال التى جاهدت جهاد الأبطال، فى سبيل نيلهما، وأظهرت من الوطنية الصادقة، ما استوقف أنظار أهل الأرض قاطبة، وتحدث بعظمتها وجلالها كل لسان : لأنها صرخت صرختها، فدوت فى الخافقين؛ وقامت قومتها، فلفتت أنظار العالمين : مصممة أن لا تعدل عن سعيها، حتى تنال ما أملت، أو يكون الموت خيرا لها، فسُجّل فى تاريخ مصر بمداد المجد والفخار، ونُقش على سويداوات القلوب بآيات الإعجاب والإكبار : لأننا بهذا البحث التاريخى : رددنا إلى الوطن العزيز "قلعته" التى اغتصبها الأجنبىّ حينا من الدهر : مصدّرا بكلمة الإهداء إلى حضرة صاحب الجلالة مليكنا المعظم "الملك فؤاد الأول" ومتوجا باسمه الكريم، ومشرفا بصورته الجليلة، فهو — أدام الله ملكه — الذى عمل على رقىّ البلاد وسعادتها وحريتها . واتفقت ميول جلالته العالية، مع ما تشتغل به الأمة — المتفانية فى حبه وإطاعته، الملتفّة حول عرشه وسدّته — اشتغالا مستمرا، فقد نودى بفضل مساعيه الحميدة بالاستقلال، وإعلان الدستور، ورفع الأحكام العسكرية التى ثقلت وطأتها على كاهل البلاد، وصارت كابوسا على صدور أبنائها . ولا يألو — أيد الله عرشه — جُهدا فيما يعود على البلاد بالسعادة والرفاهية والخير العميم . واختار رجال وزارته الجليلة القدر من أبطال مصر المجاهدين برياسة الرئيس الجليل والزعيم المفدّى ذى الرياستين حضرة صاحب الدولة "سعد زغلول باشا" حقق الله بهم آمال الأمة وأمانيها القومية، وأيدهم بروح من عنده .

§ ونسأله تعالى أن يديم جلالته، ويؤيده على أريكته التى هى رمز كياننا القومى، ومظهر نهضتنا الوطنية . ويحفظ ولىّ عهده حضرة صاحب السمو الملكى "الأمير فاروق" إنه سميع مجيب "

محمد عبد الجواد الأصمعى

تحريرا بالقاهرة فى شعبان سنة ١٣٤٢ هـ (مارس سنة ١٩٢٤ م)



صــورة المــؤلف

[تصوير المسيو هزلمان المصور الشهير]

قلعة محمد على

لا قلعة نابليون

بيان للحقيقة وللتاريخ



نسب الرواة إلى «الفرنسيس» غريبة ... لم يروها التاريخ في أدواره
ذكروا «نابليون» ما لم يبنه ... والحق لا يخفى على أنصاره
«فالجامع الأسنى بناه «محمد» ... وكذاك هذا الحصن من آثاره

لا يعزب عن الأفكار ما دار حول هذه القلعة التى أثيرت فيها أقلام الكتّاب، وفاضت بها قرائح الأدباء، حتى علت ضجتهم فى الصحف: بين يومية وأسبوعية لإظهار الحقيقة جلية لا تشوبها شائبة. وقد أجاب الأستاذ «الحضرى» وقتئذ — بعد سكوت طويل ذهبت الظنون فى تأويله مذاهب شتى — بجواب [1] لو ورد فى إبانه، لما أثارت الصحف هذه الحرب الشعواء؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن الأستاذ

(١) قد أثبتنا هذا الجواب كما ورد فى الصحف بحروفه، وعقبنا عليه فى نهاية هذا البحث.

سيوافيهم بردّ مفحم، تتدفّق مناهل البحث من أطرافه، وتتجلّى الحقيقة من ثنايا سطوره ويظهر ذكر مَن شادها من عباراته، حتى يخرجهم من هـذه الحيرة . ولكن أبى الأستاذ إلا أن يجعلها شقيقة "لزياد بن أبيه" فقال :

«إنى أجهل نسبة هذه القلعة إلى مَن نسبت إليه، ولا أتحقق نسبتها إلى غيره» .

فعُمِّيت عليه حقيقتها، ووقف كواحد منهم : موقف الحائرين الذاهلين . ٥

§ وقد طلبوا ممن ألمّوا بأطراف التاريخ، وساءلوا الربوع الدوارس، فعرفوا كيانها، وكشفوا عن أخبارها، أن يفيدوهم بما يعلمونه عن هذه القلعة، حتى لا تُضرَب حولها قلعة أخرى من الأوهام . وقد مرت أيام، وتعاقبت شهور، فلم يلبوا الدعاء، ويجيبوا النداء .

١٠ § ولذا أصبحت هـذه المسألة التاريخية، جديرة بالبحث، تفاديا من الوقوع فى هـذا الارتباك، والخبط فى أودية التضليل، الذى وقع فيـه بعض من يدّعون البحث والتنقيب، فزعم أن مشيّدها السلطان "صلاح الدين الأيوبى"! وآستشهد بما قاله "المقريزى" عن "قلعة الجبل" المعروفة فى جميع كتب التاريخ، ويعلمها كل إنسان [راجع جريدة المرآة الصادرة فى ١٨ مايو سنة ١٩١٧ م] . وآدّعى آخرون : أنها

١٥ بنيت فى "عهد المماليك"! والمعروف الآن على ألسنة طلبة العلم، وأساتذتهم من مصريين وفرنجة : أنها من آثار "نابليون" (Napoléon) ! بدون أن يؤيدوا ما يروونه عنها ببرهان أو صحة دليل، حتى تغالَوا وكتبوا على بابها بالطلاء جملة بالفرنسية، هذه ترجمتها : "تذكار من الحملة الفرنسية" (Souvenir de l' Expédition Française) ؛

وكلٌّ يدّعِى وصلا لليلَى، * وليلَى لا تُقِرّ لهم بذاكا!

٢٠ § واذا كانت هـذه القلعة، أصبحت مطمح الأنظار، ومقصد الزوار، وموضع الإعجاب والإكبار . وأضحت أثرا يؤمّه طلاب العلم، ويقصده محبو الآثار، ويترنها

كل زائر ”للغابة المتحجّرة“ التى أصبحت رؤيتها، من الفروض الواجبة للمدارس المصرية، والمعاهد الدينية، فمن العار الكبير أن نجهل حقيقة من شيّد أركانها، وأقام بنيانها، بعد أن طال عليها الأمد، وأخنى عليها الذى أخنى على لُبَد .



× المكتشف مع لفيف من أصدقائه داخل جامع الجيوشى عند زيارتهم الثانية لقلعة محمد على

على يمين المستكشف : عبدالمجيد محمد النمر افندى مهندس ، وأحمد توفيق حافظ افندى . وعلى يساره : المرحوم محمود البابلى افندى ، وحسانين فرى افندى المحامى ، وسيد أحمد عباس افندى . والجالسون من اليمين الى اليسار : محمود ربيع افندى ، ومحمد زكى عوف افندى ، ومحمد موسى فندى الملحق بإرسالية وزارة المواصلات للتخصص فى الهندسة الكهربائية بجامعة لبفربول بانجلترا ، والمرحوم محمد حلمى عوف افندى)

§ ولذا وصلنا سواد الليل ببياض النهار لأستيفاء الأبحاث التاريخية، عن الأماكن الأثرية التى مررنا بها فى رحلتنا، مع فريق من أصدقائنا : من طلبة المدارس الثانوية والعاليـة، إلى ”الغابة المتحجّرة“ [كما ترى صورتنا الشمسية بأعلاه] حتى عانينا فى ذلك كثيرا من المشقة، وكابدنا من المجهود ما لا يعرفه إلا المشتغلون بمثل هذه الأمور .

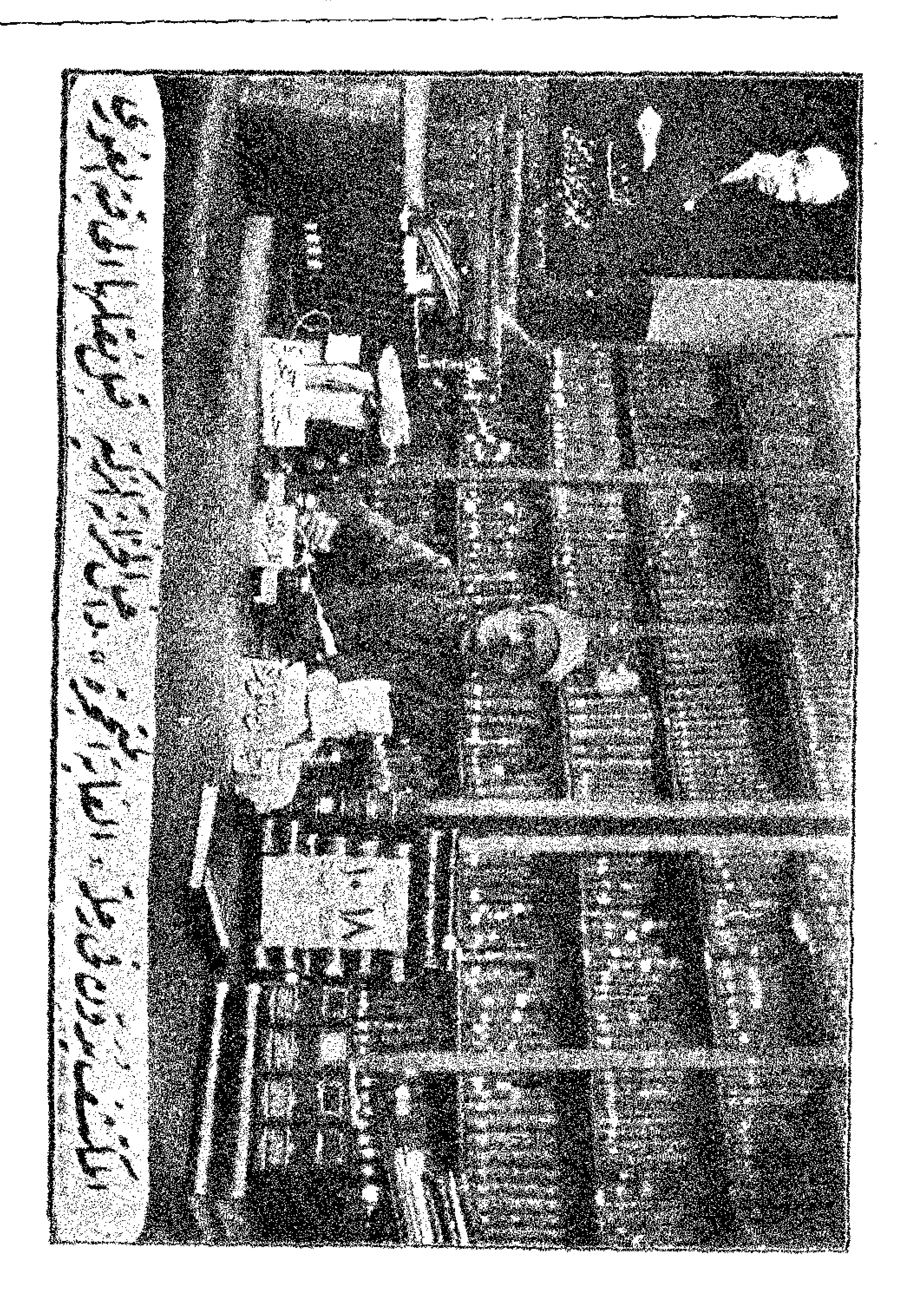
§ ولما كانت هـذه القلعة، من الآثار التى وجب علينا البحث عن حقيقتها، لذكرها ضمن رحلتنا التى ستظهر عما قريب إن شاء الله فى عالمَ المطبوعات، مُحلّاة بالصور والخرائط بعنوان: "الغابة المتحجّرة" لم نترك كتابا مخطوطا، أو مطبوعا، فى تاريخ مصر. منذ عهد الدولة الأيوبية : إلى أيام المرحوم "محمد على باشا" إلا قرأناه، ولا بابا إلا درسناه، حتى وفّقنا الله بهداية التحقيق: إلى كتاب مخطوط، غير معروف للآن، محفوظ بدار الكتب المصرية، ضمن كتب التاريخ تحت رقم (٥٨٥) عنوانه : "تاريخ الوزير محمد على باشا". ومؤلفه : العلامة المؤرّخ الشيخ "خليل بن أحمد الرجبيّ الشافعيّ الشاذليّ" أحد معاصريه، قال فى مقدّمته :

« إن شيخ الإسلام الشيخ محمدا العروسيّ أمره بتأليفه، وأن ذلك كان فى سنة ١٢٤٥ هـ ».

أى قبل وفاة منقذ مصر ومحييها بعشرين سنة.

§ تصفّحنا هـذا الكتاب الثمين، فاذا هو يحتوى على شذرات من تاريخ مصر قبل دخول الفرنسيين إليها، وحالة أمرائها، وأخلاق "محمد على باشا" وإخراجه من كان بمصر من المماليك المفسدين، وغيرهم، وتعميره أرض مصر، وإحياء قطرها بالزرع. ولكنّ الأمر المهم، والتحفة النادرة، فى هذا الكتاب الثمين : هو أن المؤلف عقد فصلا ذكر فيه بعض آثار "محمد على": من الأبنية، والعمارات، وغير ذلك. حينئذ لاحت لنا بوارق الفتوح، إذ توسّمنا أنه لا بدّ أن يكون فيه شفاء لُغلّتنا، وأنه سيكون خير مرشد إلى ضالتنا المنشودة.

§ وإنا نحمد الله، فقد تحقق الظنّ، إذ وجدنا فى هذا الأثر النفيس، ما كنا نسعى وراءه من البيان الصحيح، والرواية الصادقة، فيما يتعلق بشأن هذه القلعة.



§ فلما ظَفِرنا بهذه الغنيمة بعد طول البحث ، وكثرة التنقيب : بلغ منّا السرور كل مبلغ ، وعدنا بالغنيمة بعد الجِدّ فى الطلب . ورأينا أن نعمّها على رجال الأدب والبحث ، ونزفّها إلى المحبّين لمصر ، من أهلها ، ومن غيرهم ؛ بلسان الصحف العربية ، والإفرنجية .

٥ § وقد تثبّتنا من صحة رواية هـذه النسخة ، بمراجعة النسخة الأخرى المحفوظة "بالخزانة الزكية" فوجدناها مطابقة لهـا تمام المطابقة . وحينئذ ثبت الصبح لذى عينين ، وانقطع الشك بمُحيّا اليقين ، فبادرنا بنشر هـذه الحقيقة التاريخية ، ناصعة بيضاء للقرّاء ، خدمة للحقيقة وللتاريخ . وإلى القارئ ما كتبه هـذا المؤرّخ الجليل بألفاظه ، حتى لا يدع مجالا للشك ، ومحلا للريب .

١٠ * * *

§ قال فى "المقالة الرابعة" فى ذكر بعض الآثار : من الأبنية والعمارات التى شيّدها ساكن الجنان المغفور له : "محمد على باشا" مؤسس البيت الملكى الكريم ما نصه :

« وحضرة أفندينا — أبقاه الله — من ذلك ؛ ما هو العجب العجاب ، »
« والأمر العظيم الذى ليس فى جلالته شك ولا ارتياب ؛ فآثره كثيرة ، ومعالم »
١٥ « إبداعه شهيرة ؛ كادت أن لا تحصى ، وقاربت أن تجلّ عن الاستقصا ؛ »
« ولنذكر منها طُرَفا للسامع ، وبهجة لمن ينقله فى المجامع »

« فمن ذلك : "الطريق" الذى أوصله من باب "قلعة الجبل" وسار به ممتدّا »
« إلى المقطّم بإتقان العمل ، وكان الطريق قبل ذلك بين القلعة والجبل فاصلا ، »
« ولا يتمكّن مَن بالقلعة إلا أن يكون من ذلك الطريق للجبل واصلا ؛ وهذا الطريق »
٢٠ « فى غاية الاتساع ، يزيد مقداره عن ألف ذراع ؛ وربمـا أتى بعض الأعداء »

« إذا ٱتفق له صعود الجبل ، ووقف تجاه القلعة أن يوصل إليها الخلل؛ لأن »
« الجبل عالٍ جدّا ، وسطحه يراه الجالس فيه : فوق القلعة ممتدا؛ وقد ٱتفق »
« سابقا صعود العدو بأعلاه، وأوقع الإيذاء على مَن بالقلعة وولاه . »

« فمن تمام تدبير حضرة "أفندينا" بثاقب فكرته، ومعرفته بعواقب الحوادث »
« بصادق فراسته؛ أنه رغب فى أن يجعل القامة متصلة بأعلى ذلك الجبل؛ » ٥
« حتى لا يخشى أحد منه، ولا يقع فى الوهم منه وجَل؛ ويحكم ذلك ببناء عجيب، »
« مُتقَن مُهندَس غريب؛ فأمر بإحضار العمَلة والصنّاع، وجمعهم فى هذه »
« المحالّ والبقاع؛ فحضروا حسب امره، وشرع فيما يُثنَى عليه به طول دهره؛ »
« وأمرهم بنحت الأحجار، وإتقان الصخور المهندمة الكبار؛ وبإحضار كل »
« ما يحتاجونه من جصّ وغيره، وكل عامل منهم فى شأنه وسيره؛ فابتدأوا من » ١٠
« حذاء باب الجبل تجاهه، وأحكموا عملهم متانة وبهجة ووجاهه؛ وبالغوا فى قوّة »
« البناء وثباته، وإحكامه مُتقنا فى كل جهاته؛ ولا زالوا سائرين فى ذلك البناء »
« المحكم؛ حتى ٱلتصق بالجبل وٱستقام وٱستحكم . »

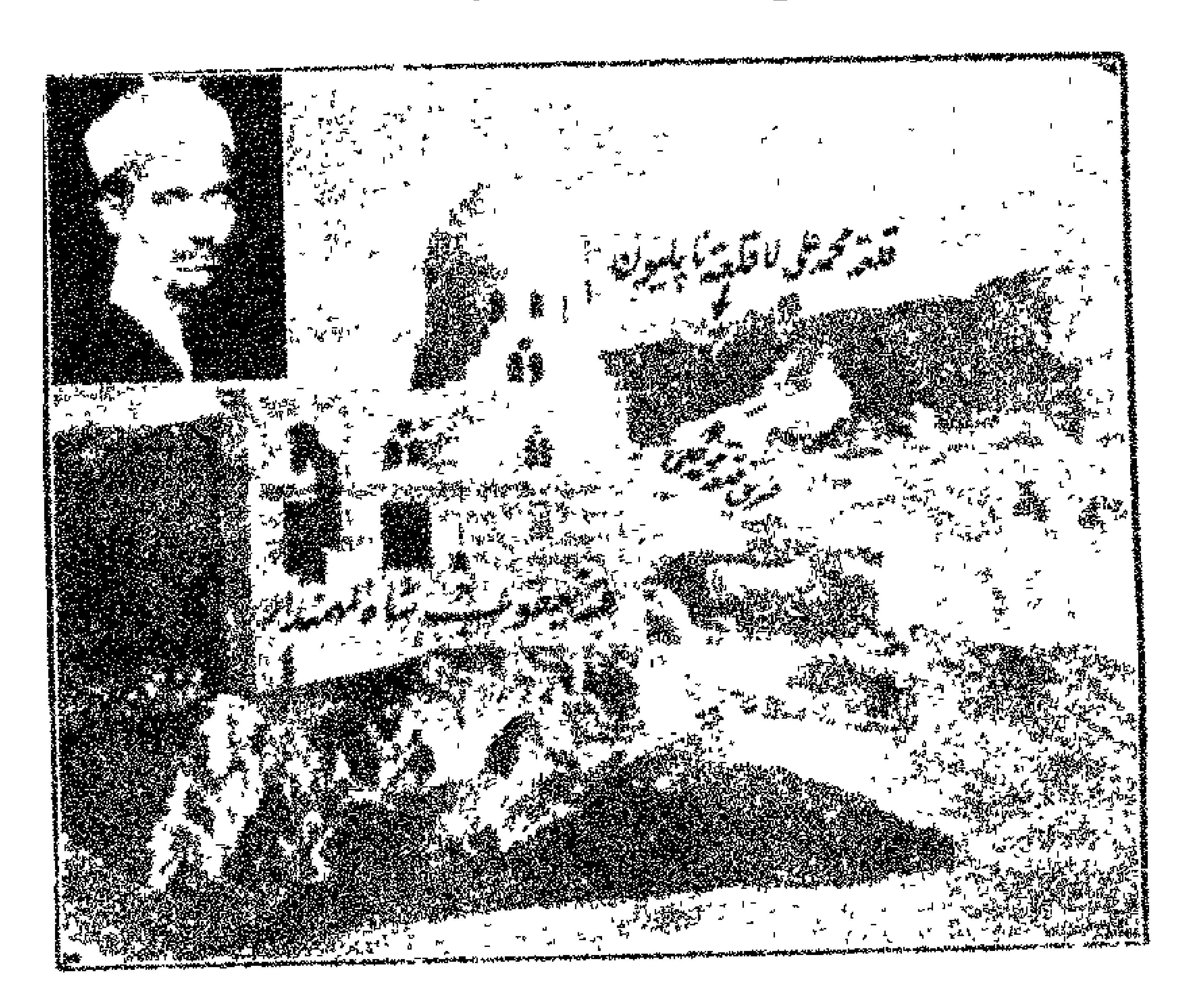
« ومن رفقه بالمارّة هناك، جعل فيه قناطر للٱستدراك؛ يمرّ السائر فى ذلك »
« الطريق الراكب على الجواد، إذا خرج من باب القامة مارًّا فى ٱطّراد؛ لا يزال » ١٥
« يكرّ فى طَلَق[1] واحد، حتى يصير بأعلى الجبل والعيون له تشاهد؛ بحيث يصير »
« الواحد والجمع العديد، بلا تعب فى ذلك المسلك السديد؛ فحبّذا هذا الٱختراع »
« والتجديد، ونِعمّا طالعه الجميل السعيد؛ وقد كان قبل ذلك يصير الصاعد »
« فى تعب شديد، وقَلق بحال جُهد جهيد . »

---

(١) الطلَق محرّكة : الشوط الواحد فى جرى الخيل .

« وبعد أن فرغوا من الطريق وإيصاله، وآلتصاقه بالجبل وتمـام آتصاله، »

[كما تراه فى هذه الصورة]



طريق قلعة محمد على والتصاقه بجبل المقطم كما وصفه الرصبى وبأعلاه القلعة وفى أوله قبة يعقوب شاه المهمندار على يسار الصاعد من الطريق إلى القلعة المذكورة

« أمر أن يُبنَى بذروة الجبل : قلعة حصينة، تصـدّ بجللها كل وجَل؛ وأن »

« يُتخذ بها سبيل جليـل، لخزن المـاء العذب ليكون ثمّ كالسسبيل؛ فبُنيت »

« به القلعة مع إتقان التحصن بالأبراج، وهى هناك : كالكوكب السامى الساطع »

« الوهّاج؛ وظهر بناءه مظهرا جميلا، وأقام به قيّما رئيسا وكَميًّا وكيلا؛ وتمّ إحكام »

« ذلك السبيل المتين؛ وآمتلأ من صافى العـذب المعين؛ ثم أعدّ به أجناد »

« الحراسة، وأمدّهم بأسرار الهمة والحماسة؛ وشحنه بالذخائر الكامله، والمدافع »

« المريعة لمن أمّ له؛ فصار بهجة للناظر، وحجة لإرغام أنف المناظر؛ وهو لعمرى ! »

« من أعظم لوازم حفظ القلعة [يعنى قلعة صلاح الدين المعروفة : "بقلعة الجبل"] وأكبر »

« المنافع لها فى القوّة والمَنعة، وكانت الأمراء والملوك من السابقين،فى غفْلة عن »
« صنع مثله أجمعين؛ولكن للظاهر أرباب،وللمعالى روّاد وطلاب . . . الخ . »

§ وقد أثبتنا هنا صورة الثلاث صحف، الوارد فيها هذا النص التاريخيّ بحروفه، وهى منقولة : من الأصل المحفوظ بدار الكتب المصرية . [وترى شكلها خلف هذه الصفحة]

٥

*
* *

§ ولما قرأنا هذا الوصف، بادرنا بالتوجه إلى هـذه القلعة، مع صديق لنا من المهندسين الفنيين، لنتحقق من وجود هذا الصهريج، وصعدنا من هـذا الطريق المذكور، حتى وصلنا سفح جبل "المقطم" : القائمة بأعلاه هذه القلعة، ودخلناها، فوجدنا هذا "الصهريج" بوسطها، ثم نزلنا بباطنه؛ وإلى القارئ وصف، داخله الفنى من شرح صديقنا المحترم :

١٠

« طول الصهريج ١٩ مترا و٢٠ سنتيمترا، وعرضه ١٠ أمتار و٢٠ سنتيمترا، »
« والآرتفاع من وسط عقد الصهريج لغاية الأرضية ٦ أمتار و ٩٠ سنتيمترا، »
« والعمق من جهة الخرزة ٥ أمتار و١٠ سنتيمترات، وجميع حوائطه وأراضيه »
« بالخافق، وبه أربع بوائك فى الطول، وآثنتان فى العرض، وبه عمودان »
« من الزلط على شكل أسطوانة، وعمود من الحجر، وعمود ثالث من الحجر »

١٥

« الأحمر على شكل مُثمَّن، وله خرزتان لآستخراج الماء : إحداهما قبلية »
« والأخرى بحرية،وعرض باب الخرزة ٥٢ سنتيمترا،وطولها ٥٥ سنتيمترا » .

§ وقد عثرنا على توقيع العلامة الفاضل المؤرّخ "الرجبى" بالجزء الثانى عشر والعشرين من كتاب "عيون التواريخ" للعلامة المؤرّخ المعروف محمد بن شاكر آبن أحمد الكتبيّ المتوفى سنة ٧٦٤ هـ . وهما بخط المؤلف ومحفوظان "بخزانة"

٢٠

(٦٠)

وحضرة افندينا ابقاه الله من ذلك ما هو العجب العجاب والامر
العظيم الذى ليس فى جلالته شك ولا ارتياب فمآثره
كثيره ومعالم ابداعه شهيره كادت ان لا تحصى
وقاربت ان تجل عن الاستقصا ولنذكر منها طرفا نزهة
للسامع وبهجة لمن ينقله فى المجامع فمن ذلك الطريق الذى
اوصله من باب قلعة الجبل وساربه ممتدا منقطم
باتقان العمل وكان الطريق قبل ذلك بين القلعة
والجبل فاصلا ولا يمكن من بالقلعة الا ان يكون من ذلك
الطريق للجبل واصلا وهذا الطريق فى غاية الاتساع
يزيد مقداره عن الف ذراع وربما ان بعض الاعداء
اذا اتفق له صعود الجبل ووقف تجاه القلعة ان
يوصل اليها الخلل لان الجبل عال جدا وسفحه يراه
الجالس فيه فوق القلعة ممتدا وقد اتفق سابقا
صعود العدو باعلاه واوقع الايذا على من بالقلعة
ووالاه فمن تمام تدبير حضرة افندينا بثاقب فكرته
ومعرفته بعواقب الحوادث بصادق فراسته انه
رغب فى ان يجعل القلعة متصلة باعلا ذلك الجبل
حتى لا يخشى احد منه ولا يقع فى الوهم منه وجل ويحكم
ذلك ببناء عجيب متقن مهندس غريب فأمر

(٦١)

بحضار العملة والصناع وجمعهم فى هذه المحال والبقاع
فحضروا حسب امره وشرع فيما ينبنى عليه به طول دهره
فامرهم بنحت الاحجار واتقان الصخور المهندمة الكبار
وباحضار كل ما يحتاجونه من جص وغيره وكل عامل
منهم فى شانه وسيره فابتدأوا من حذاء باب الجبل
تجاهه واحكموا عملهم متانة وبهجة ووجاهه وبالغوا
فى قوة البناء وثباته واحكامه متقنا فى كل جهاته
ولا زالوا سائرين فى ذلك البناء المحكم حتى التصق بالجبل
واستقام واستحكم ومن رفقه بالمارة هناك
جعل فيه قناطر للاستدراك يمر السائر فى ذلك
الطريق راكب على الجواد اذا خرج من باب القلعة
مارا فى الطراد لا يزال يكر فى طلق واحد حتى يصير
باعلى الجبل والعيون له تشاهد بحيث يصير الواحد
والجمع العديد بلا تعب فى ذلك المسلك السديد
فحبذا هذا الاختراع والتجديد ويا له طالعه الجميل
السعيد وقد كان قبل ذلك يصير الصاعد فى تعب
شديد وقلق بحال جهد جهيد وبعد ان فرغوا
من الطريق وايصاله والتزاقه بالجبل وتمام اتصاله
امر ان يبنى بذروة الجبل قلعة حصينة تصد بجلالها

(٦٢)

كل وجل وان يتخذ به سبيل جليل لخزن الماء العذب
ليكون ثم كالسلسبيل فبنيت بها القلعة مع اتقان
التحصن بالابراج وهى هناك كالكوكب السامى الساطع
الوهاج وظهر بناؤه مظهرا جميلا واقام به قيما
رئيسا وكميا وكيلا وتم احكام ذلك السبيل المتين
وامتلأ من صافى العذب المعين ثم اعد به اجناد
الحراسه وامدهم باسباب الهمة والحماسه وشحنه
بالنخائر الكامله والمدافع المريعة لمن اقبل له فصار
بهجة للناظر وحجة لارغام انف المناظر وهو لعمرى
من اعظم لوازم حفظ القلعه واكبر المنافع لها فى
القوة والمنعه وكانت الامراء والملوك من السابقين
فى غفلة عن صنع مثله اجمعين ولكن للظاهر اربابه
وللمعالى رواد وطلاب وحضرة افندينا الجدير
بهذا لا زال معاذا وملجأ وملاذا ومن اخلاقه
وآثاره العظيمة الكبيرة الجسيمه التى لم يتفق
نظيرها لسواه ولا تأتى لغيره انه فى ذلك قاربه
فضلا عن ان يقال ساواه انشاؤه بستانه الشهير
ومرج منزهه الكبير بناحية شبرا بساحل البحر
فهناك ابدع البستان وشيد القصر اما القصر

هذه الصفحات الثلاث المرقومة فى الأصل بـ ٦٠ و ٦١ و ٦٢ منقولة بالتصوير الشمسى عن النسخة الأصلية من تاريخ الوزير "محمد على باشا"
للمؤرخ "الرجبى" المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨٥ تاريخ

العلامة الباحث الجليل حضرة صاحب السعادة " أحمد تيمور باشا " عمّرها الله ببقاء صاحبها . وفى صحيفتى ٢٢٩ و٢٧٦ من الجزء العشرين، حاشيتان بخط العلامة المؤرّخ " الرجبيّ " أيضا ، مما يثبت أنه — رحمه الله — قرأهما حرفيا . ولعله قرأ الكتاب جميعه، ولم يصل لنا إلا هذان الجزءان .



حضرة صاحب السعادة العلامة الجليل
" أحمد تيمور باشا "

٥

§ وقد تفضل — حفظه الله — فأعارنا المجلدين لأخذ صورتى التوقيع والحاشيتين بالتصوير الشمسى، وإثباتها هنا تخليدا لقيمتها التاريخية [وهى التى ترى فى الصفحتين التاليتين] فكان حقا علينا أن نسطر لسعادته آية من الشكر ، فى ثنايا سطور هذا البحث ، مشفوعا بصورته الكريمة، لما لسعادته من الأيادى البيضاء ، فى خدمة العلم والتاريخ .

§ وقد عرّفنا المؤرخ " الجبرتى ": تاريخ ابتداء العمارة فى هذا الطريق ثم القلعة .

فقال

وليلة زارني فيها الحبيب فلي شمل به وتجمع النوم ملتئم

طورا أعانقه طورا وآونة أشكوا إليه فأبكي وهو يبتسم

حتى إذا غاب عني بدر طلعته وقد دجت من ليالي شعره الظلم

وبان يومي إلى من محاسنه تعلمت من بلابل النوم [illegible]

إن يسرق النوم من عيني فلا عجب اللام والصاد منه عارض وفم

ولو علقت سواد الصدغ تربو للقلب وصل وزالت بيننا التهم

زاد علي بها الدين زهير بقوله واو الصدغ رحمهما الله تعالى وعفا عنهما وعنا

السنة الحادية والستون والستمائة

استهلت هذه السنة وليس للناس خليفة وسلطان الديار المصرية والشامية

والحلبية إلى الفرات السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري والملوك على حالهم

[illegible] الرحبي

حاشية بخط العلامة المؤرخ المعروف "الرحبي" بإحدى صفحات الجزء العشرين من "عيون التواريخ" للعلامة المؤرخ الشهير محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي نفسه (وهي صفحة ٢٢٩ من الأصل المحفوظ بخزانة حضرة صاحب السعادة العلامة الجليل أحمد تيمور باشا).

تم الجزء الثاني عشر من عيون التواريخ

بحمد الله تعالى وعونه ويتلوه في الجزء الثالث عشر

السنة الرابعة والأربعين على يد جامعه محمد بن

شاكر بن أحمد الكتبي عفا الله عنه وصلى الله على سيدنا

محمد وعلى آله وصحبه وسلم

طالعه [illegible] الرحبي [illegible]

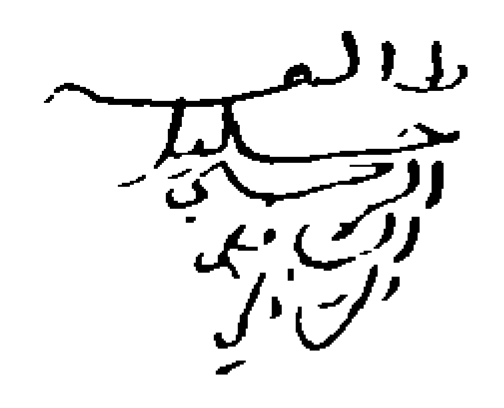
قرأه [illegible] أحمد الحسان [illegible]

توقيع المؤرخ "الرحبي" بالصفحة الأخيرة من الجزء الثاني عشر من "عيون التواريخ".

الفطن والفنون مما يباح وكان له عند الملك الظاهر المنزلة العليه وكان
قد جرح على صفد وبقي بلاه والالم يتزايد فحمل الى دمشق فمات بها
ليله عرفه ودفن في تربة الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب دمشق
بسفح قاسيون وكان من حسنات الايام و[illegible] اشارته بنو له
المدارس الاربع مذاهب لكل مذهب قاضي [illegible] رحمه
الله وايانا وجميع المسلمين وفيها توفي الشيخ ابو عبد الله محمد بن منصور
ابن احمد المعروف بابن الحضرمي المالكي العدل سمع الكثير وحدث بالثغر
وكان ظريف الشكل حسن المحاضره اشتغل للشرف عبد الملك بن عتيق لتصنيف الجزء

حاشية بخط العلامة المؤرخ المعروف "الرجبي" بإحدى صفحات الجزء العشرين من "عيون التواريخ" للعلامة المؤرخ الشهير محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي نفسه (وهي صفحة ٢٨٦ من الأصل المحفوظ بخزانة حضرة صاحب السعادة العلامة الجليل أحمد تيمور باشا).

تم الجزء العشرون من عيون التواريخ
بحمد الله تعالى ويتلوه في الحادي والعشرين سنه [illegible]
والسبعين والستمائه وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل



توقيع المؤرخ "الرجبي" بالصفحة الأخيرة من الجزء العشرين من "عيون التواريخ".

§ فقال فى صحيفة ٩٩ جزء ٤ "طبع بولاق" ما نصه :

« وفى ٢٣ رجب سنة ١٢٢٤ هـ . نادى منادى المعمار، على أرباب الأشغال، »
« من البنائين والنجارين والفعلة، بأن لا يشتغلوا فى عمارة أحد من الناس، كائنا »
« مَن كان، وأن يجتمع الجميع فى "عمارة الباشا" بناحية الجبل » .

٥ § وقال فى صحيفة ١٠٨ من هذا الجزء :

« فى المحرم سنة ١٢٢٥ هـ . طلب "الباشا" تمهيد الطريق الموصلة من القلعة »
« إلى "الرّملة" التى أنشأها طريقا يصعد منها إلى الجبل المقطم السابق ذكرها » .

* * *

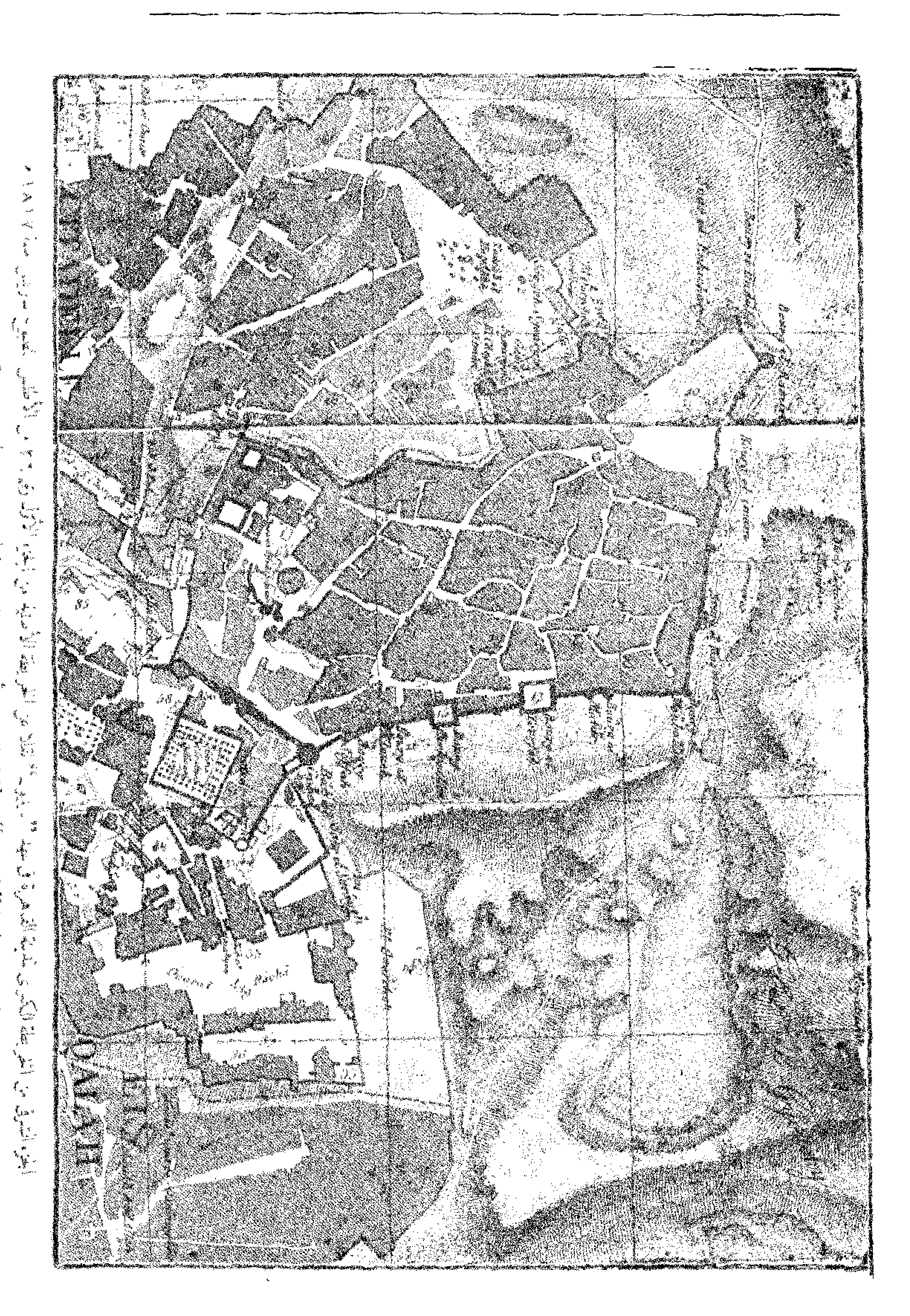
قلعة محمد على وتحقيق الأستاذ أحمد زكى باشا

١٠ § ولزيادة التحقيق، طلبت من صاحب السعادة الأستاذ " أحمد زكى باشا " المعروف بعلو كعبه فى البحث والتحقيق، والقدح المعلّى فى التنقيب، أن يبحث فى خرائط الحملة الفرنسية، والكتب التى دوّنت فى أيامهم عن وجود هذه القلعة، إذا كانت من أعمال "نابليون" (Napoléon) كما يدعون أم لا . فبحث — حفظه الله — فيما وضعه المؤرخون الفرنسيون أنفسهم عن الحملة الفرنسية على مصر، الذين ١٥ لم يغادروا صغيرة ولا كبيرة، إلا أحصوها فى كتبهم، ورسموها فى خرائطهم، فلم يجد لهذه القلعة من أثر .

§ وأفادنا بأن الفرنساويين أنفسهم، وقت استيلائهم على مصر : رسموا خريطة القاهرة، ولم يغفلوا الإشارة إلى الأبراج، والحصون، والاستحكامات التى أقاموها حول عاصمة "وادى النيل" لقمع الفتن التى كانوا يتوقعون حدوثها داخل القاهرة .

٢٠ وهذه الخريطة الكبرى لمدينة القاهرة : [وهى التى تراها فى الصفحة المقابلة لهذا] طبعوها ضمن كتابهم الكبير الموسوم : "وصف مصر" (Description de l'Egypte) .





§ وقد طبع هذا الكتاب اول مرة بمطبعة الحكومة الرسمية من سنة ١٨٠٩ م إلى سـنة ١٨١٣ م، ومن سنة ١٨١٨ م إلى سـنة ١٨٢٨ م . ثم طبع مرة ثانية من سنة ١٨٢٠ م إلى سنة ١٨٣٠ م : أى بعد خروجهم من مصر، بنحو ثلاثين سـنة .

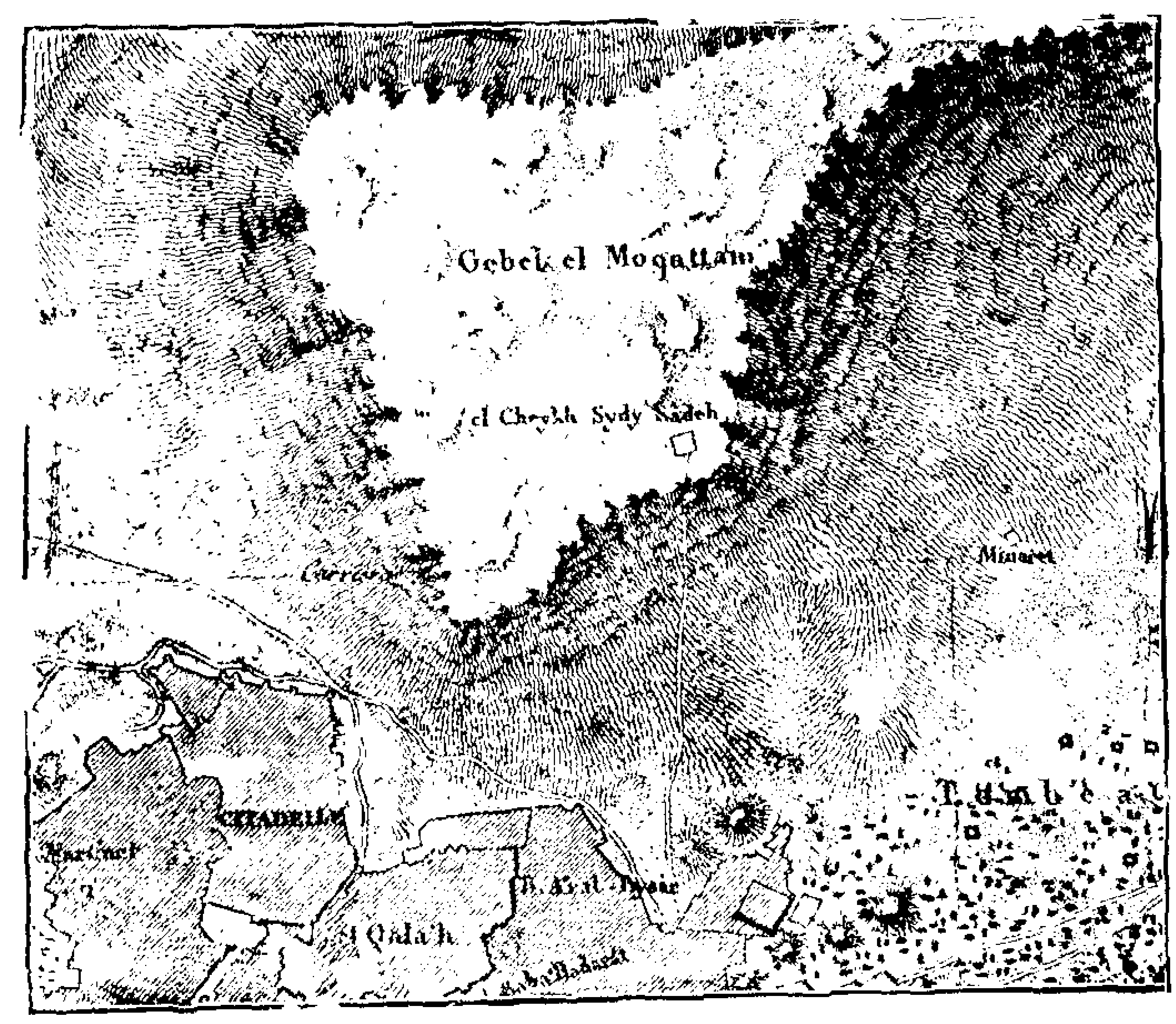
٥ § وفى كلتى الطبعتين لم يظهر أثر مطلقا لهذه القلعة ، لا فى المتن، ولا فى هـذه الخريطه الجامعة لكل ما كان فى القاهرة [ترى صورتها أيضا فى الصفحة المقابلة لهذا] وما شيدوه فيها من القلاع ، والحصون فى أيام " بوناپرت " (Bonaparte) - حتى بعد سفره من مصر ، ليس فيها على الإطلاق أدنى أثر لهذه القلعة التى نحن بصددها . وإنما آقتصروا على الواقع فى زمانهم، والمشيد بأمرهم ، ولمصلحتهم العسكرية ؛ وهى :

١٠ « "برج مارتنيه" (Tour Martinet) و"برج سورنيه" (Tour Sornet) »
« و" برج لامبير" (Tour Lambert) و"برج ريبول" (Tour Reboul) »
« و" برج ديپيوى" (Tour Dupuis) و" برج ڤينو" (Tour Venouz) »
« و" برج جريزيو" (Tour Grezieux) و" برج شلكوفسكى " (Tour Chloukovsky) »

١٥ § وهنالك ما هو أكبر فى الدلالة والبرهان : وذلك أنهم حوّلوا بعض الجوامع ، و بعض الأبواب الأثرية بمصر ، إلى قلاع وأبراج وحصون . وأطلقوا عليها أسماء رجالاتهم وقوّادهم ، وأهملوا أسماءها العربية التى كانت قبلهم ، ولا تزال هذه الأسماء إلى الآن منقوشة عليها ، مثل : "باب الفتوح" فقد حصّنوه وجعلوه قلعة باسم : "برج لسكال" (Tour Lescal) ومثل : "مئذنة جامع الحاكم" فقد فعلوا

٢٠ ذلك فيها وسموها : "قلعة ڤاى" (Fort Vaille) ومثل : "باب النصر" فقد سموه :

"برج يوليان" (Tour Julien) ثم سموه: "برج كوربين"[١] (Tour Corbin) وأمامه "برج ميلهود" (Tour Milhaud) . وقد شاهدنا هـذه الأسماء بأنفسنا لشدّة حرصنا على توخّى الصدق، و إثبات الواقع، وهى منقوشة فى الحجر إلى الآن .



الجزء الشرقى من الخريطة الكبرى لمدينة القاهرة فى عهد "نابليون" التى عملت بمعرفة مصلحة المساحة وطبعت بمطبعتها فى مارس سنة ١٩١٥ م مقياس $\frac{١}{٢٠٠٠٠}$ ولم يوجد فيه لقلعة "محمد على" من أثر كما ترى .

§ فاذا كان الفرنسيون ، أطلقوا أسماء رجالاتهم وقوادهم ، على نفس الجوامع والمآذن الإسلامية ، فهل يدور بخلد عاقل : أنهم يغفلون الإشارة إلى قلعة بناها

(١) أنظر : كتاب العلامة الفرنسى "بريس دافن" (Prisse d'Avennes) المطبوع فى باريس سنة ١٨٧٧ م صفحتى ١٦٣ و ١٦٤

"بوناپرت" (Bonaparte) ° هذا مالا يتصوّره رجل رشيد، وهم إنما تركوا ذكرها، لا لسبب آخر : سوى أن "بوناپرت" لم يعرفها، ولم يشيدها، ولم يكن لها وجود، لا فى أيامه، ولا فى أيام من بقى بعده من رجال الحملة الفرنسية، حتى سنة ١٨٠١ م التى تمّ فيها خروجهم من مصر. وما ذلك إلا لأن هذه القلعة إنما كانت بدايتها من سنة ١٨٠٩ م إلى سنة ١٨١٠م: أى أنها ظهرت للوجود بعد جلاء الفرنسيين بعشر سنين . وهم كانوا يجهلون إقامتها بعد، فلم يرسموها على خريطتهم، مع أنهم طبعوا هذه الخريطة مرة أخرى بعد بناء القلعة بنحو عشرين سنة؛ وما ذلك إلا لتحرّيهم الصدق، ونقل الحقائق كما هى، وإثبات الأمور التى شاهدوها أثناء إقامتهم بديار مصر لا غير. وإليك ما يؤيد هذا :

***

قلعة محمد على وتحقيق صاحب السموّ الأمير الجليل "عمر طوسون"

§ ومما يؤيد هذا تأييدا يقينيًا: المستند التاريخيّ الهامّ الذى تفضل بتفصيله لنا، حضره صاحب السموّ الأمير الجليل "عمر طوسون" بتاريخ ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٣ م مشفوعا بخطاب من حضرة صاحب العزة "محمد چلبى بك" رئيس معاونى دائرة سموّه، وهذا بعض ما ورد فيه بعد الديباجة :

« اطلع حضرة صاحب السموّ الأمير، على كتابكم فى شأن حصن "قلعة جبل »
« المقطم" . وهو يشكركم على عنايتكم بهذا البحث التاريخى المفيد . ويوافقكم »
« على ماذهبتم إليه من أنه من عمل "محمد على". وقد كتب لكم سموّه مستندا »
« تاريخيا فى هذا البحث، فإن كان من ضمن ما عثرتم عليه من المستندات التى »
« أيدتم بها رأيكم فيها، وإلا فضمّوه إلى مستنداتكم . »

وهذا نص المستند التاريخي الهام الذي شبته حجة قاطعة لتعزيز بحثنا ، مشفوعا بكل شكر و إجلال لسمو الأمير الجليل الذي ما فتئ يعمل على نشر العلم ، و إظهار الحقائق ، قال حفظه الله :

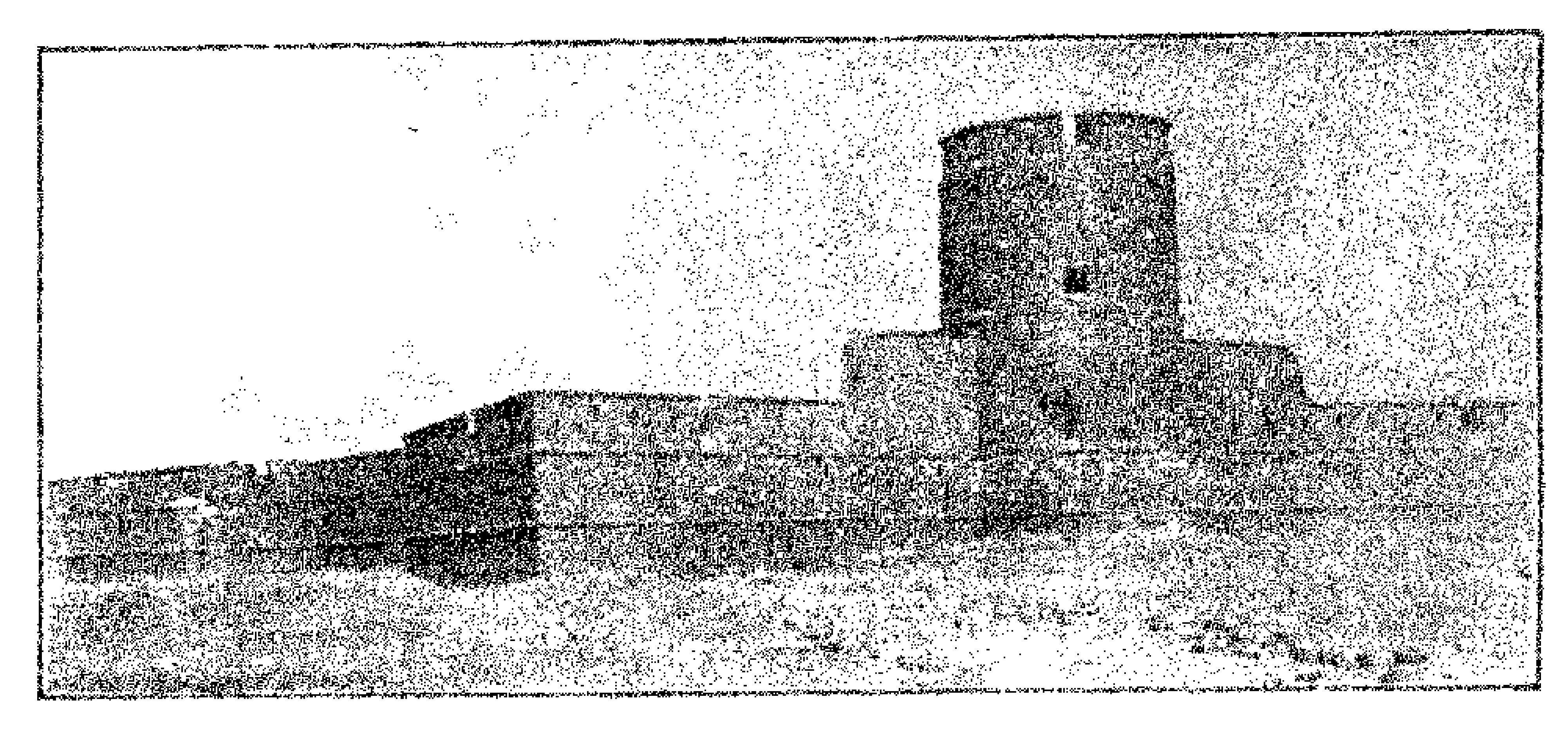
« § كان أحد قواد الحملة الفرنسية التي استولت على القطر المصري تحت »
« قيادة "بونابرت" (Bonaparte) : المارشال "مارمون"[1] (Marmont) » ٥
« الذي عين في بدء الاحتلال الفرنسي قائدا للإسكندرية والبحيرة . وبنى في أثناء »
« تلك القيادة : حصني "كوم الناظوره" و "كوم الدكة" . وسمى الأول : »
« حصن "كافاريلي" باسم : الجنرال "كافاريلي" (Caffarelli) قائد فرقة »
« مهندسي تلك الحملة الذي قتل في حصار عكاء . والثاني حصن "كريتن" »
« باسم : الكولونيل "كريتن" (Crétin) من قسم المهندسين المذكور، الذي » ١٠
« قتل في واقعة "أبي قير" بين الجيش الفرنسي والعثماني ، ودفن في هذا الحصن . »

« § وبعد أن انقضت هذه الحوادث ، ورجعت مصر إلى كنف الدولة : »
« ساح المارشال "مارمون" (Marmont) في بلاد الشرق ، وزار مصر في أيام »
« "محمد علي" سنة ١٨٣٣ م ، ووصف حالتها في ذلك العصر . وقد جاء »
« في مذكراته (ج ٣ ص ٢٨١) عن "الحصن الصغير" الذي فوق قمة "جبل » ١٥
« المقطم" ما يأتي : »

[1] كان هذا المارشال يسمى دوق ده راجوس (Duc de Raguse) وقد كتب وصف رحلة في بلاد الغرب والشرق عنوانه Voyage en Hongrie en Transylvanie dans la Russie Meridionale, en Crimee et sur les bords de la Mer d'Azoff, à Constantinople, dans quelques parties d'Asie-Mineure en ٢٠ Syrie en Palestine et en Egypte. T.I-IV Paris 1837

« § لما كانت القلعة يشرف عليها "جبل المقطم" الذى هو نهاية سلسلة »
« جبال العرب : شيد "محمد على" على قمة هذا الجبل : "حصنا على النسق »
« التركى"، ليكون فى قبضة يده بتحكمه فى هذه القمة . وقد عنى بهذا الحصن »
« العناية الواجبة، وجعله قادرا على مقاومة من يريد اقتحامه، حيث الوسائل »
« المنظمة للحصار فى أيامنا هذه، غير محتملة التقدير والوقوع » .

« وهذا الحصن، مربع، ضيق النطاق، يستند إلى سياج من الحجارة ؛ »
« وفى وسطه "برج" والبرج والحصن : مسلحان بالمدافع اهـ » .



برج قلعة "محمد على" الذى ذكره الماريشال "مارمون"

"برج" تأزر بالمجرة وارتدى الـ * شعرى ولاث برأسه كيوانا
لو أن "فرعونا" رآه لم يرد * صرحا، ولا أوصى به "هامانا"

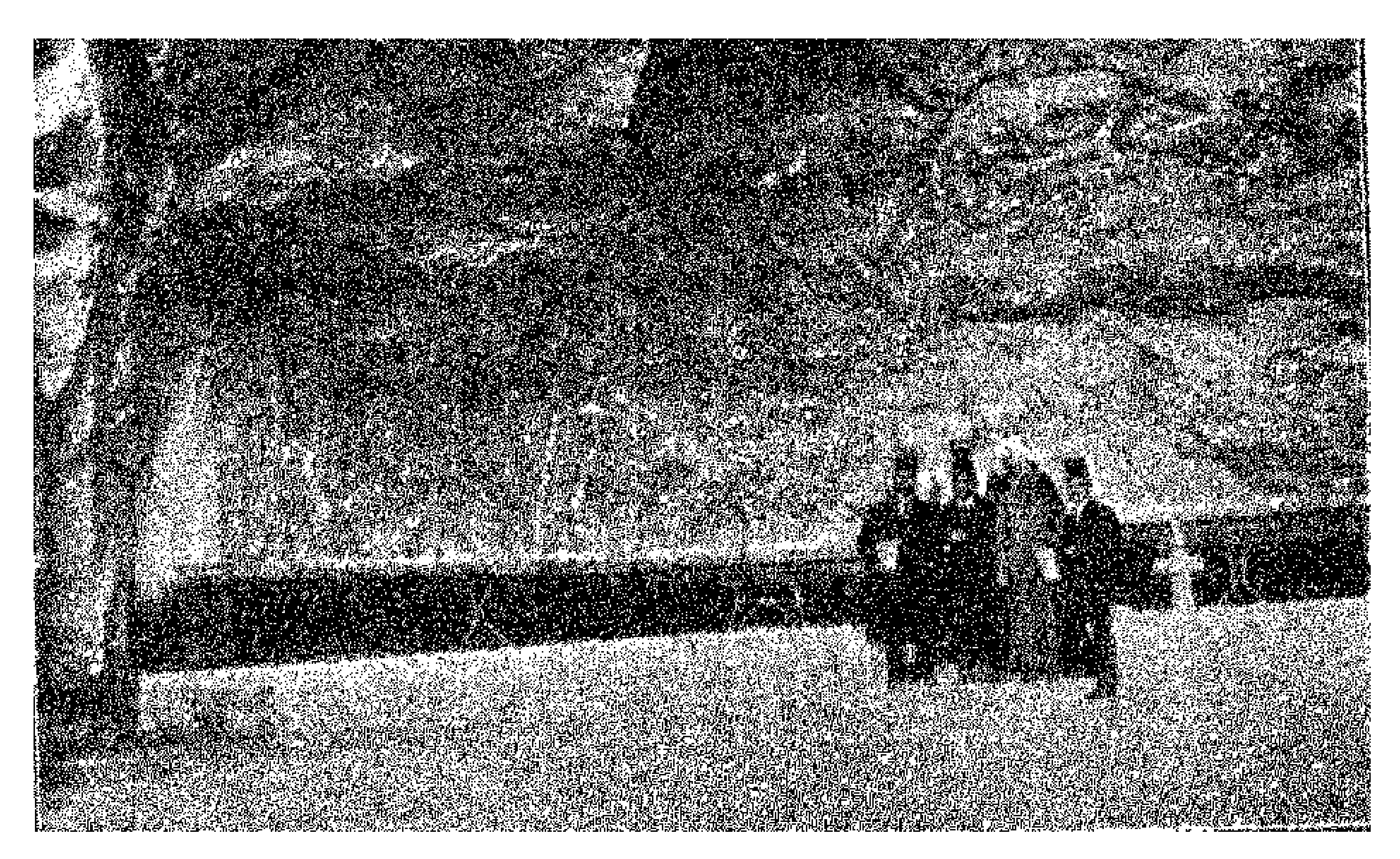
§ فلو أنها كانت من أعمال "بونابرت" (Bonaparte) لما ذكرها المارشال "مارمون" (Marmont) فى مذكراته بهذا النص الصريح، الذى لا يحتمل الشك والتأويل، ولما أغفلوا ذكرها عند تدوين أسماء قلاعهم، التى أحصوها فى خريطتهم الكبرى لمدينة القاهرة : وهى القلاع التى ذكرناها واحدة واحدة، نقلا عنهم .

فلم يبق بعد ذلك مجال لقائل أن يقول : سوى أنّ هذه القلعة التى نحن بصددها، هى من آثار "محمد على" كما نص عليه "الرحى" و"الجبرتى" فى أقوالها التى سردناها من قبل، وعززها الرحالة الفرنسى : المارشال "مارمون" بقوله القاطع ونصه الساطع . وأنها ليست لها أدنى صلة "ببونابرت" : لأنها ليس لها أدنى أثر، لا فى مؤلفاتهم ، ولا فى خرائطهم؛ وما ذلك إلا لكونها حدثت بعد جلائهم ٥ عن مصر : أى فى زمن العزيز "محمد على باشا" رأس العائلة الملكيه الجليلة . لذلك نراها مرسومة على الخرائط التى أنشئت بعد ذلك، إلى هذا العهد، كما نرى فيها طريقها الذى وصفه "الرحى" وهو لا يزال موجودا إلى الآن فى الطبيعة وظاهرا للعيان، ومرسوما على الخرائط الموضوعة بعد الاحتلال الفرنسىّ، فثبت حينئذ بالنص الصريح، و بالبرهان الذى لا ينقض : أن هذه القلعة، قد أنشأها الخالد الذكر المغفور له ١٠ "محمد على باشا" : لحماية "قلعة صلاح الدين" من هجوم يطرأ عليها من جهة الصحراء . وأما الفرنسيون ، فلم يكن يعنيهم هذا الأمر : إذ أنهم كانوا يخمدون الفتن التى تحدث داخل القاهرة ، فلم تكن لهم حاجة عسكرية مطلقا لإقامه القلعه التى هى موضوع الكلام : ففى "قلعه صلاح الدين" ما يغنيهم ألف مرّة عنها ، ولذلك أقاموا الأبراج التى أشرنا إلى أسمائها ، مبتدئين من "قلعه الجبل" [قلعة صلاح الدين] ١٥ ومتجهين بها على دائره القاهرة ، من الشرق إلى الشمال ، حتى مسجد السلطان "الظاهر بيبرس" الذى جعلوه "قلعة" واتخذوا منارته "برجا" فصار يعرف : "بقلعة الظاهر". [وقد اتخذته مصلحة التنظيم الآن منتزها لسكان جهة الظاهر وغيرهم] .

قلعة محمد على

والباعث الذى دعاه إلى بنائها

§ لما وصلت جنود الأكراد [الدلاة] مصر، لتحلّ محلّ الألبانيين وقائدهم " محمد على باشا " : عاثت فى الأرض فسادا، فقام الأهالى فى وجه " أحمد خورشيد باشا " والى القاهرة وقتئذ، لأنه سبب حضورهم وطلبوا من " محمد على " أن يحميهم ويكون الوالى عليهم، فقبل ذلك، وشنّ الغارة على " خورشيد باشا " وكان معتصما بقلعة صلاح الدين. فحاصر " محمد على " القلعة، وأطلق عليها المدافع إطلاقا ذريعا، وذلك فى صفر سنة ١٢٢٠ هـ (مايو سنة ١٨٠٥ م).



المستكشف وعلى يمينه حضرة صاحب العزة محمد رمزى بك المفتش بالمالية، وحضرة الأثرى الفاضل يوسف أحمد افندى رئيس مفتشى لجنة حفظ الآثار العربية. وعلى يساره حضرة أحمد موسى افندى المهندس بالاوقاف الملكية وهم بتكية المغاورى، فى طريقهم لزيارة قلعة محمد على، وخلفهم اثنان من رجالها.

[تصوير أحمد موسى افندى المهندس]

§ وقد عرّفنا العلامة المؤرخ " الجبرتى " المواضع التى حاصره منها، فقال فى جزء ٣ صحيفة ٣٣٠ (طبع بولاق) ما نصه :

« فأرسل " محمد على باشا " عساكره فى جهات الرميلة [ميدان صلاح الدين الآن] »
« والحطابة، والطرق النافذة : مثل باب القرافة، والحصرية، وطريق »
« الصليبة، وناحية بيت آقبردى . وجلسوا " بالمحمودية " و " السلطان » ٥
« حسن ". وعملوا متاريس فى تلك الجهات . وذلك فى تاسع عشره (١٩ صفر »
« سنة ١٢٢٠ هـ) . ومنعوا من يطلع ومن ينزل من القلعة، وأغلق أهل القلعة »
« الأبواب، ووقفوا على الأسوار، يبكّت بعضهم بعضا بالكلام، ويتراءون »
« بالبنادق، وصعدوا على منارة " السلطان حسن " يرمون منها إلى القلعة . »

§ ومن المواضع الهامة التى حاصر منها " محمد على " القلعة لشدة الضغط على " خورشيد باشا " : قمة جبل " المقطم " المشرفة على القلعة [قلعة صلاح الدين] . قال العلامة الجبرتى فى جزء ٣ صحيفة ٣٣٢ ما نصه : ١٠

« وجمعوا الفعلة والعربجية، وشرعوا فى طلوع طائفة من العسكر والعرب »
« وغيرهم إلى الجبل، وأصعدوا مدافع، ورتّبوا عدّة جمال لنقل الاحتياجات »
« والخبز وروايا الماء تطلع وتنزل فى كل يوم مرتين، وطلع إليهم الكثير من » ١٥
« باعة الخبز والكعك والقهاوى وغير ذلك » .

§ فلو كان للقلعة المنسوبة خطأ إلى " نابليون " (Napoleon) وجود وقت هذا الحصار : لذكرها ضمن المواقع التى دوّنها، كما ذكر جامعى " المحمودية " و " السلطان حسن " فكان من باب أولى، ذكر موضع حربى هام كهذا .

§ وقد كرر العلامة " الجبرتى " ذكر هذا الموضع فى صحيفة ٣٣٤ من هذا الجزء فى حوادث ربيع الأول سنة ١٢٢٠ هـ . ولم يشر إليه بكلمة؛ قال : ٢٠

« وفى كل ليلة يطلع إلى الجبـل : أربعة عشر جملا تحمل قرب المـاء، على »
« كل بعير أربع قرب . وستة أقفاص خبز على ثلاثة جمال : نقلتين فى كل »
« يوم . وأصعدوا "جبخانة" و"جللا" و"قنابر"، وضربوا عليهم فى ذلك ضربا »
« قليلا ، وآستمر ذلك ليلة الثلاثاء و يوم الثلاثاء ، فأكثروا الرمى ، وسـقطت »
٥ « "قنابر" و"جلل" فى عدّة أماكن . »

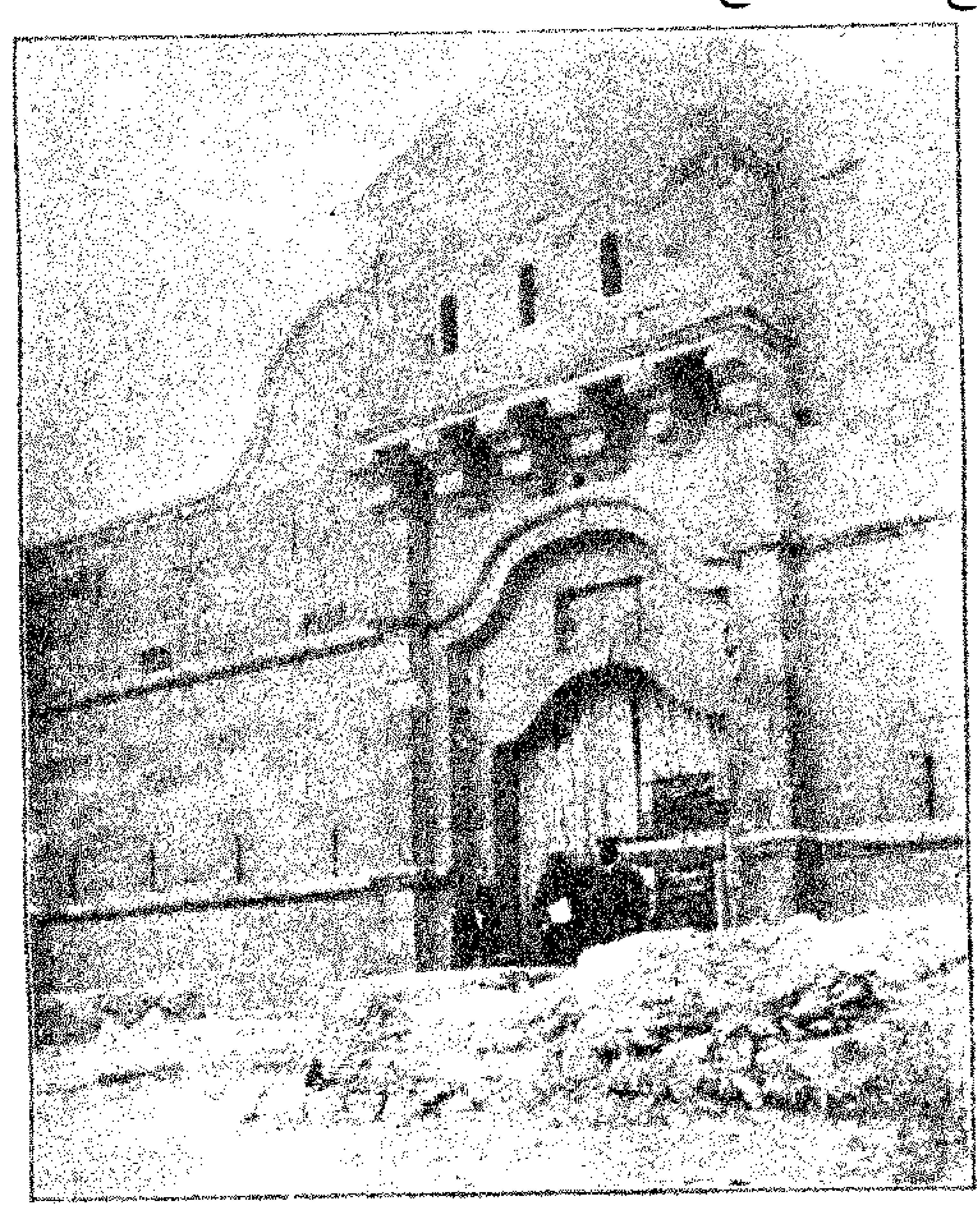
§ مع أن العلامة "الجبرتى" عيّن قلعة أخرى للفرنسيين فى ذكر هذه الحوادث بقنطرة الليمون | الموجود محلها الآن كبرى الليمون بميدان باب الحديد | فقال فى نفس حوادث ربيع الأوّل سنة ١٢٢٠ هـ . جزء ٣ صحيفة ٣٣٤ ما نصه :

« وفى يوم الأحد أرسل كتخدا " محمد على باشا " إلى " السـيد عمر " »
١٠ « وأشار عليه بإرسال العتالين والشيالين " إلى ناحيـة قلعة الفرنساوية التى »
« بقنطرة الليمون" لرفع المدفع الكبير الذى هناك، وأرسلوا أشخاصا من الإنكليز »
« يتقيـدون بذلك ، فجمعوا الرجال والأبقـار وذهبوا إلى هناك ، وأحضروه »
« وأخرجوه من باب البرقيـة | المعروف الآن بالغريب | يريدون وضعه عنـد »
« " باب الوزير " حيث مجرى السيل ، ليرموا به على برج القلعـة، وآستمروا »
١٥ « فى جره يومين » .

§ فلم يُغفل العلامة "الجبرتى": ذكر المدفع ، ولا المكان الذى جلب منه، ولا الطريق الذى سار فيه ، ولا الزمن الذى آستغرقه، ولا المكان الذى وضع فيـه. مع أن موضع جبل المقطم الذى ضربوا منه، ومكثوا به مدة طويلة، ذكره غير مرة فيما تقدم، وعيّنه كثيرا، فقال فى موضع آخر من الجزء الثالث صحيفة ٣٣٥ ما نصه :
٢٠ « نصبوا المدفع المذكور وضربوا به، وضربوا أيضا من أعلى الجبل » .

§ وقال أيضا فى هذه الصفحة : « وكذلك مَن بالجبل ومَن بالذنجزية يضربون على القلعة : "المدافع" و"السواريخ" » .

§ وقال فى هذه الصفحة أيضا : «وصار الضرب من الجبل على القلعة : "بالبنب" و" المدافع " و" السواريخ " » .



المستكشف امام باب قلعة محمد على ، وعلى يمينه حضرة الاثرى الفاضل يوسف احمد افندى . وعلى يساره الباحث المحقق حضرة صاحب العزة محمد رمزى بك المفتش بوزارة المالية .

[تصوير أحمد موسى افندى المهندس بالأوقاف الملكية]

§ ومما يثبت أن الموضع الذى آختاره جيش " محمد على " لضرب قلعة صلاح الدين ، وكرر ذكره العلامة "الجبرتى" : هو نفس المكان الذى آختاره "محمد على باشا" ليقيم به قلعته ، كما نراها الآن ، لأنها مشرفة على القلعة من جهة باب الجبل : قول العلامة "الجبرتى" فى حوادث ربيع الأول سنة ١٢٢٠ هـ صحيفة ٣٣٤ جزء ٣ ما نصه :

« وفى ليلة السبت حضر جماعة من أهل الأطراف ليلا وحرقوا باب الجبل ، »
« واوقدوا فيه النار ، فظن أهل الجبل ، أن أهل القلعة يريدون الخروج ، »
« فضربوا عليهم " مدافع " فتنبه مَن بالقلعة ، وأسرعوا إلى جهة باب الجبل ، »
« وضربوا "بالرصاص" ، فلما تحقق مَن بالجبل القضية : رموا عليهم أيضا ، »
« وتسامع الناس كثرة ضرب الرصاص ، فلم يعلموا الحقيقة ، ورجع مَن أتى »
« إلى الباب من غير طائل ، فلما طلع النهار ظهر الأمر » .

§ ويتبين من هذه العبارة ، ان جنود "محمد على" التى حاصرت "خورشيد باشا" بقلعة صلاح الدين ، كانوا بقمة المقطم من الجهة المقابلة لباب هذه القلعة المعروف "باب الجبل" المسمّى به الشارع الموجود الآن . وهو يبتدئ من مسجد السلطان الملك الأشرف " قانصوه الغورى " المشيّد سنة ٩١٥ هجرية ؛ وفوق هذه القمة العالية شيّد "محمد على" قلعته فيما بعد لموقعها الحربى الهام ، فلو كان لها وجود أيام هذا الحصار ، لذكرها العلامة "الجبرتى" الذى لم يُغفل الإشارة إلى نقل المدفع الكبير الذى كان موجودا بقلعة " بونابرت " بقنطرة الليمون التى مرّ ذكرها . وإنما كانت بنايتها من سنة ١٢٢٤ — ١٢٢٥ هـ (١٨٠٩ — ١٨١٠ م) : أى أنها

ظهرت للوجود بعد مرور أربع سنوات، على حصار جنود "محمد على" لخورشيد باشا كما عرّفنا العلامة "الجبرتى"، فقال فى صحيفة ٩٩ جزء ٤ ما نصه :

« وفى ٢٣ رجب سنة ١٢٢٤ هـ . نادى منادى المعمار، على أرباب الأشغال: من البنائين، والحجارين، والفعلة، بأن لا يشتغلوا فى عمارة أحد من الناس، كائنا من كان، وأن يجتمع الجميع فى عمارة "الباشا" ناحية الجبل» . ٥

§ وقال فى صحيفة ١٠٨ من هذا الجزء مشيرا إلى الطريق الموصّل لهذه القلعة :

« فى المحرم سنه ١٢٢٥ هـ : طلب "الباشا" تمهيد الطريق الموصلة من القلعة إلى "الرّلاقة" التى أنشأها طريقا يصعد منها إلى الجبل المعظم السابق ذكرها» .

قلعة محمد على والأستحكامات التى شيّدها

١٠ § ولم تقتصر همة "محمد على" على تشييد هـذه القلعه، بل له من الأعمـال العسكرية التى أوجدها، والأستحكامات العديده التى شـيّدها بأنحاء مصر، تحت مراقبه المهندس الفرنسى : المسيو جاليس بك(Galice) رئيس مهندسى الأستحكامات وقتئذ : ما جعل البلاد فى منعة كافية لمقاومة من يقصدها بسوء، حتى عدّ من كبار المصلحين على قلة عددهم، ونخـل الزمان بأمثالهم . لذلك يقابل بالقبول ما مدحه ١٥ به السير "مَرِى" فى مذكراته عن حياه "محمد على" إذ يقول : « إنّ العالَم الإسلامى منذ فناء دولة العرب الزاهره من بلاد الأندلس، لم يظهر فيه حاكم يضارعه فى أعماله وصفاته، فَمَثَلُه : مَثَلُ "صلاح الدين" فى عدله وتسامحه الدينى » .

و إنا نثبت هنا بيانا لتلك الأستحكامات التى شـيّدها "محمد على" نقلا عن كتاب : "حقائق الأخبـار عن دول البحار" لحضرة صـاحب السـعادة ٢٠ "اسمـاعيل سرهنك باشا" جزء ٢ صحيفة ٢٥٨ ونصه :

§ قد عثرت بين أوراق قديمــة من أوراق المرحوم "حسن باشا الإسكندرانى" مدير "دار الصناعة" فى سنة ١٢٦٤ هـ، على كشف مُبيّن لتلك الآستحكامات، وما بها من المدافع والذخائر، ولفائدته أدرجته هنا كما ترى :

أسماء الطوابى	[illegible]	[illegible]	[illegible]
استحكامات الإسكندرية			
طابية المسمار	٥٧	٦	٢
« « الصعيدة ..	١	—	١
« التراب	٦١	١٢	٣
« الاستالية الجديدة .	١٣	١٠	١
« « القديمة ...	٢٥	—	١
« الأطـــة	٥٧	٧	٢
قلعة برج الظفر	١١	٦	١
طابية ظهر تل الفرنسيس...	٦	٦	١
« المصحة . ..	٨	—	١
« مسلة فرعون	٩	—	١
« قبور اليهود القديمة	١٠	—	١
« « « الجديدة..	٢٠	—	١
« برج السلسلة	١٨	١	١
« باب شرق	٦	—	—
« كوم الناضورة	١٠	١	١
« الدخيلة	٣	—	١
« السلمية	٢٠	٢	١
« المكس	٤٠	٩	١
« القمرية	٩	١	١
« أم قبيبة	٥٦	٤	٢
« الملاحة القديمة ...	١٤	١	١
« « الجديدة ...	٣٤	١	١
« صالح أغا	١٣	—	٢
« باب سدرة	٨	—	١
« كوم الدماس.. ..	٩	٢	١

أسماء الطوابى	[illegible]	[illegible]	[illegible]
آستحكامات أبو قير:			
قلعة أبو قير	٤٨	٣	٣
طابية كوم الشوشه	٤٧	٣	١
« « العجوز	٢٤	٢	١
« السد نمرة ١	١٠	—	١
« « « ٢	١٠	—	١
« « « ٣	١٠	—	١
« « « ٤	١٠	—	١
آستحكامات رشيد :			
طابية التل	٦	—	١
« العباسى	٦	—	١
« الطواحين	٥	—	١
« المرلاوى	٣	—	—
« محل الشركة . .	١	—	—
برج رشيد	١٤	—	١
قلعة البوغاز . ..	١٨	—	١
الطابية الشرقية	١٠	—	١
« الغربية	١٠	—	١
آستحكامات البرلس :			
قلعة البرلس	٦	—	١
آستحكامات دمياط :			
القلعة القديمة	٢٠	—	١
الطابية الشرقية	١٠	—	١
« الغربية	١٠	—	١

*
* *

§ ووفق ذلك، فلا ينكر أحد، أن ساكن الجنان المغفور له "محمد على باشا":
هو الذى نهض بالبلاد، وجعلها فى صف الأمم الراقية ، فقد أنشأ الطرق ، وشيّد
الحصون، وحفر الترع، وأصلح الزراعة، وأسس القناطر، وبنى المعامل، وأوجد
دور الصناعة، وأقام المدارس الابتدائية والثانوية والعالية ، واستحضر إليها كبار ٥
الأساتذة الغربيين لنشر العلوم الحديثة بين أبناء رعيته، وأوفد البعوث العلمية إلى
أوروبا لتعود مزوّدة بعلومها ومعارفها وأسرار تقدمها .

§ هذا ما أردنا بيانه، ولعل فيه الشاهد المقنع لأولئك الذين تعوّدوا المكابرة،
وعساهم بعد ذلك، أن يثوبوا إلى الصواب، و ينزعوا عن وهمهم القديم، فإن الرجوع
إلى الحق محمدة، والمضىّ فى الباطل منقصة، لا تبوء إلا بخذلان من الله . ١٠

§ وها نحن أولاء، بحمده تعالى، قد وفّينا البحث حقه بما وصلت إليه طاقتنا،
وانتهى إليه وسعنا . والله ولىّ الهداية والتوفيق .

[تحريرا بالقاهرة فى ٢١ ربيع الثانى سنة ١٣٣٦ هـ (٤ فبراير سنة ١٩١٨ م)]

محمد عبد الجواد الأصمعى

*
١٥ * *

قلعة محمد على وأقوال الصحف والمجلات

وما كاد يظهر هذا البحث التاريخىّ الأثرىّ ، حتى تناقلته جميع الصحف العربية
والمجلات ، وكذا الصحف الإفرنجية ، وكتبت عنه كثيرا . وقد أثبتنا فى صفحات
هذا الكتاب بعض نماذج مما قالته حرفيا، نقلناه عنها بالتصوير الشمسى تخليدا لها،
وحفظا لذكرها، وإليك بيانها : ٢٠

قلعة محمد على وأقوال الصحف العربية

المقطم

أرسل الينا حضرة الفاضل محمد افندي عبد الجواد الاصمعي رسالة استشهد فيها بما ورد في كتاب خط محفوظ في دار الكتب السلطانية للشيخ خليل بن احمد الرجبي من ان المرحوم محمد علي باشا ... المرحوم محمد علي باشا ... حول القطم لا نابليون ولا ... [illegible]

الثمرات

قلعة محمد على

عثر حضرة الأديب الشيخ محمد عبد الجواد الاصمعي على كتاب مخطوط في دار الكتب السلطانية للشيخ خليل الرجبي من معاصري محمد علي باشا ... [illegible] ... القلعة التي قيل أنها بنيت بالمبرول هي من انشاء محمد علي باشا

الافكار

ـ أرسل الينا الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعي نشرة مطبوعة يثبت فيها ان القلعة المرسومة في جبل المقطم وقيل انها من انشاء نابليون هي من انشاء المرحوم محمد علي باشا وأيد اثباته هذا بأدلة كثيرة ورجاني آخر النشرة من المشتغلين بمصلحة الآثار ازالة الكتابة التي ... [illegible] ... على باب القلعة ... حرصا على الحقيقة ... ورد الحق الى صاحبه

الأخبار

قلعة محمد على للحقيقة والتاريخ

[illegible]

جريدة الاهرام

نابوليون أو محمد علي

[illegible]

"المقطم" بتاريخ ٦ فبراير سنة ١٩١٨ م . "الأفكار" بتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٩١٨ م .
"الأخبار" بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٩١٨ م . "الثمرات" بتاريخ ١٧ مايو سنة ١٩١٨ م .
"الأهرام" بتاريخ ٢٠ فبراير سنة ١٩١٨ م .

ومما يستحق الذكر في هذا المقام: تعليق جريدة الأهرام عن هذا البحث ونصه:

«وقد استنتج حضرته من ذلك كله: أن هذه القلعة نُسبت خطأ إلى "نابليون"»
«وأن الواجب يقضي بتسميتها: "قلعة محمد علي" وهي نتيجة خالف فيها جميع»
«من سبقوه من المؤرخين الذين درسوا تاريخ هذه القلعة ونسبوها إلى "نابليون"».

« ولما كان هذا الموضوع من المسائل التاريخية التي تستوجب الاهتمام»
«بسطناها على صفحات الأهرام، ليطلع الجميع على هذا الرأي الجديد، ويبدوا»
«ما يتسنى لهم من الملاحظات التي تؤيد هذا الرأي، أو تنفيه. وأملنا أن لجنة»
«الآثار العربية لا تغفله وتعلن رأيها ... ...».

الأخبار

قلعة محمد علي

مذكرة تاريخية

[illegible]

جريدة الحال

قلعة محمد علي

لا قلعة نابليون

أهدانا الأستاذ الأديب الشيخ محمد عبد الجواد الأصمعي رسالة مطبوعة على ورق جميل في صفحتين يثبت فيها أن قلعة الجبل هي قلعة محمد علي باشا لا قلعة نابليون وأنه استدل على ذلك البيان بما وجده مخطوطاً في دار الكتب في نقل رسالة دعاها الشيخ خليل بن أحمد الرجبي في القرن الثامن عشر وسماها تاريخ المرحوم محمد علي باشا ونحن مع شكرنا للأستاذ على بحثه الدقيق وغيرته على الحقيقة [illegible] بالأستاذ المصري لأنه لم يعرف إن كانت القلعة من بناء محمد علي أو نابليون فما الأستاذ المصري إلا من نوع الإنسان وإنه لا يجب عليه الخطأ والنسيان كما يجب على كل إنسان وهذا لا يطعن [illegible] في علم التاريخ [illegible] من الكمال والأدب أن يكون لا يعرف الشيء [illegible] حتى يقف على حقيقته ويسوقه إليك حياً

ونحن نشكر الشيخ الأصمعي هديته وأكثر الله من أمثاله [illegible] على الحقيقة

"الأخبار" بتاريخ ٧ فبراير سنة ١٩١٨ م. و"الحال" بتاريخ ١٢ فبراير سنة ١٩١٨ م.

§ ونشرت مجلة المقتطف بعدد مارس سنة ١٩١٨ م هذا البحث مشفوعا بصورتين شمسيتين، وعلقت عليه بما نصه :

« وقد صوّر مؤلف هذه الرسالة : صورة القلعة، وصورة الطريق الموصّل »
« إليها، وفيها صورته، فنقلناهما عنه شاكرين همته على هذا التحقيق التاريخى »
« الجليل . »

مارس ١٩١٨ — التقريظ والانتقاد — المقتطف

باب التقريظ والانتقاد

قلعة محمد علي لا قلعة نابليون

وضع حضرة محمد السيد عبد الجواد الاصمعي رسالة بهذا العنوان قال فيها ان القلعة التي شاع لدى العامة انها قلعة نابليون بونابرت انما بناها محمد علي باشا رأس البيت السلطاني الكريم ودليله على ذلك كتاب مخطوط في دار الكتب السلطانية ونسخة منه في خزانة صاحب السعادة احمد زكي باشا وهو تاريخ المرحوم محمد علي باشا للشيخ خليل بن احمد الرجبي احد معاصريه وضعه على تأليفه شيخ الاسلام الشيخ محمد العروسي سنة ١٢٤٠ ه وهو يحتوي على تاريخ مصر قبل الفرنسيس وحالة امرائها واخلاق محمد علي باشا وعلى بعض آثاره من الابنية ومن ذلك وصف لانشائه طريقا من قلعة مصر الى الجبل المشرف عليها قال فيه ان محمد علي امر ان يبنى بذروة الجبل قلعة حصينة ووضع لها سبيلا لجري الماء بسبب القلعة [illegible] بالاحجار والمدافع

قال مؤلف هذه الرسالة انه لما اطلع على هذا الوصف بادر الى القلعة مع صديق له من المهندسين فوجد فيها سبيلا طوله ١٩ مترا و ٢ سنتيمترا وعرضه ١ امتار و ٢ سنتيمترا وارتفاعه في وسطه ٦ امتار و ٩ سنتيمترا [illegible] الاحمر على شكل حوض

ثم استشهد بكلام الجبرتي في الجزء الرابع من تاريخه صفحة ٩٦ طبع بولاق وفي الصفحة ٨ .

وكلام الجبرتي غير صريح في ان المراد منه بناء قلعة الجبل ولكنه صريح ولا سيما في الصفحة ٨ . في انه شرع في الطريق التي انشأها محمد علي باشا ليصعد منها الى جبل المقطم اما كلام الشيخ خليل فصريح في ان محمد علي باشا بنى في ذروة الجبل قلعة حصينة وجعل لها سبيلا [illegible] قبل سنة ١٢٢٤ ه الى نابليون بنى تلك القلعة

وقد صور مؤلف هذه الرسالة صورة القلعة وصورة الطريق الموصل اليها وفيها صورته فنقلناهما عنه شاكرين همته على هذا التحقيق التاريخي الجليل

وحبذا لو اقتدى به كثيرون في تحقيق القضايا والاخبار التي تؤخذ عادة بالتسليم والتقليد من غير تحقيق ولا بحث مطلقا

المجلة السلفية

جمادى الاولى سنة ١٣٣٦ — فبراير سنة ١٩١٨

قلعة محمد علي باشا

اهدت الينا نشرة ترجمة الاديب الشيخ محمد عبد الجواد الاصمعي في بحث تاريخي [illegible] نسبته الى المرحوم محمد علي باشا ، وقد ايد ذلك بما نقله من كتاب في تاريخ محمد علي مخطوط بدار الكتب السلطانية ألفه الشيخ خليل بن احمد الرجبي باشارة شيخ الاسلام الشيخ محمد العروسي سنة ١٢٤٠ وهو تاريخ مصر قبل الفرنسيس وحالة امرائها واخلاق محمد علي باشا واعماله وحوادث الممالك [illegible] الراغبة من هذا الكتاب قوله عن قلعة الجبل

« انه (يعني محمد علي) أمر ببني بذروة الجبل قلعة حصينة [illegible] الحصن للارياح ، وهي هناك كالكوكب الساطع [illegible] الخ »

ونقل عن ص ٩٩ ج ٤ من تاريخ الجبرتي (طبعة بولاق) قوله

« وفي ٢٣ رجب سنة ١٢٢٤ نادى منادي العسكر على ارباب الاشغال من البنائين والحجارين والفعلة بان لا يشتغلوا في عمارة أحد من الناس كائنا من كان وأن يجتمع الجميع في عمارة الباشا ناحية الجبل »

وختم هذه النشرة برجائه الى القائمين بمصلحة الآثار أن يضعوا على القلعة [illegible] على باب القلعة من الكتابة الدالة على غير ذلك حرصا على الحقيقة وردا للحق الى صاحبه

« وحبذا لو أقتدى به كثيرون فى تحقيق القضايا، والأخبار التى تؤخذ عادة »
« بالتسليم والتقليد من غير تحقيق، ولا بحث مطلقا . »

§ وأشارت المجلة السلفية إلى هذا البحث أيضا بعدد فبراير سنة ١٩١٨ م .
وقد أثبتنا أقوالها فى هذه الصفحة نقلا عنهما بالتصوير الشمسى .

§ أما الصحف الإفرنجية التى ترجمت هـذا البحث، أو اشارت اليه ، فنذكر منها ما أمكننا العثور عليه . فمن الصحف الفرنسـية جريدة "البورص إجبسين" بتاريخ ١٥ فبراير سـنة ١٩١٨ م ، وبتاريخ ١٦ و ٢١ مارس سـنة ١٩١٨ م . و"الجورنال دى كير" بتاريخ ٢٨ فبراير سنة ١٩١٨م . و"لابورص الإسكندرية" بتاريخ ١٦ فبراير سنة ١٩١٨ م، وبتاريخ ٢٠ و ٢٣ مارس سنة ١٩١٨م . وإليك ما قالته هذه الصحف نقلا عنها بالتصوير الشمسي .

قلعة محمد على
وأقوال الصحف الافرنجية

الصحف الفرنسية

LA BOURSE ÉGYPTIENNE

جريدة «البورص إجبسين»

VENDREDI, 15 FÉVRIER 1918

La « Citadelle de Napoléon »

Une erreur de nom

[illegible]

لابورص الاسكندرية

EDITION D'ALEXANDRIE

La « Citadelle de Napoléon »

Une erreur de nom

[illegible]

LA BOURSE ÉGYPTIENNE 16 FÉVRIER 1918.

LE JOURNAL DU CAIRE

الجرنال دى كير

Fort Mehemet Aly ou Fort Napoléon ?

[illegible]

JEUDI, 28 FÉVRIER 1918.

الصحف الانكليزية

الغازيت

FORT NAPOLEON WRONGLY NAMED.

[illegible]

THE EGYPTIAN GAZETTE, THURSDAY, FEBRUARY 14, 1918

الإيجبشين ميـل

FORT "NAPOLEON"

Sheikh Mohamed Abdul Gawad Al-Asmi has published a pamphlet on the famous Fort Napoleon about the Citadelle, Cairo, which, according to a history of the great Mohamed Aly by sheikh Khalil Ibn El-Ragabi, one of his contemporaries, was built by Mohamed Aly and not by the french Empror. This fort had a reservoir for water, which Sheikh Mohamed found in the middle of the fort.

It is twenty metres long by ten wide and seven high.

The Egyptian Mail, Thursday, 21st February, 1918.

LA BOURSE EGYPTIENNE

لابورص القاهرة أيضا

Le fort Méhémet-Ali et non Fort Napoléon

UNE MISE AU POINT

SAMEDI, 16 MARS 1918.

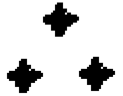
عن جريدة لابورص

Le fort Méhémet-Ali et non Fort Napoléon

UNE MISE AU POINT

(suite et fin)

JEUDI, 21 MARS 1918. LA BOURSE EGYPTIENNE



§ ومن الصحف الإنكليزية : جريدة "الغازيت" بتاريخ ١٤ فبراير سنة ١٩١٨ م. و"الإجبشين ميل" بتاريخ ٢١ فبراير سنة ١٩١٨ م .

§ وقد أثبتنا بعض نماذج مما قالته الصحيفتان المذكورتان، مأخوذا عنهما بالتصوير الشمسي .

لابورص الاسكندرية أيضاً

EDITION D'ALEXANDRIE

Le fort Méhémet-Ali et non Fort Napoléon

UNE MISE AU POINT

LA BOURSE EGYPTIENNE 20 MARS

Le fort Méhémet-Ali et non Fort Napoléon

UNE MISE AU POINT

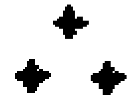
(suite et fin)

LA BOURSE EGYPTIENNE 23 MARS

قلعة محمد على ورأى المهندسين الفنيين

§ ولقد كان لنشر هذا البحث التاريخى الأثرى، فى جميع هــذه الصحف : أثر كبير فى النفوس، فاهتم به عدد من المهندسين الفنيين، فتوجه لفيف منهم مع وفد من رجال العلم والتاريخ، وكثيرون من الطلبة والمدرسين بمصاحبتنا إلى هذه القلعة، ليبدوا رأيهم الفنىّ فى هذه المسألة التاريخية الهامة. وبعد إبداء رأيهم كتبت الصحف العربية والإفرنجية ما صرّحوا به، وما قاله الأثرى الفاضل "يوسف أحمد افندى" رئيس مفتشى لجنة حفظ الآثار العربية .

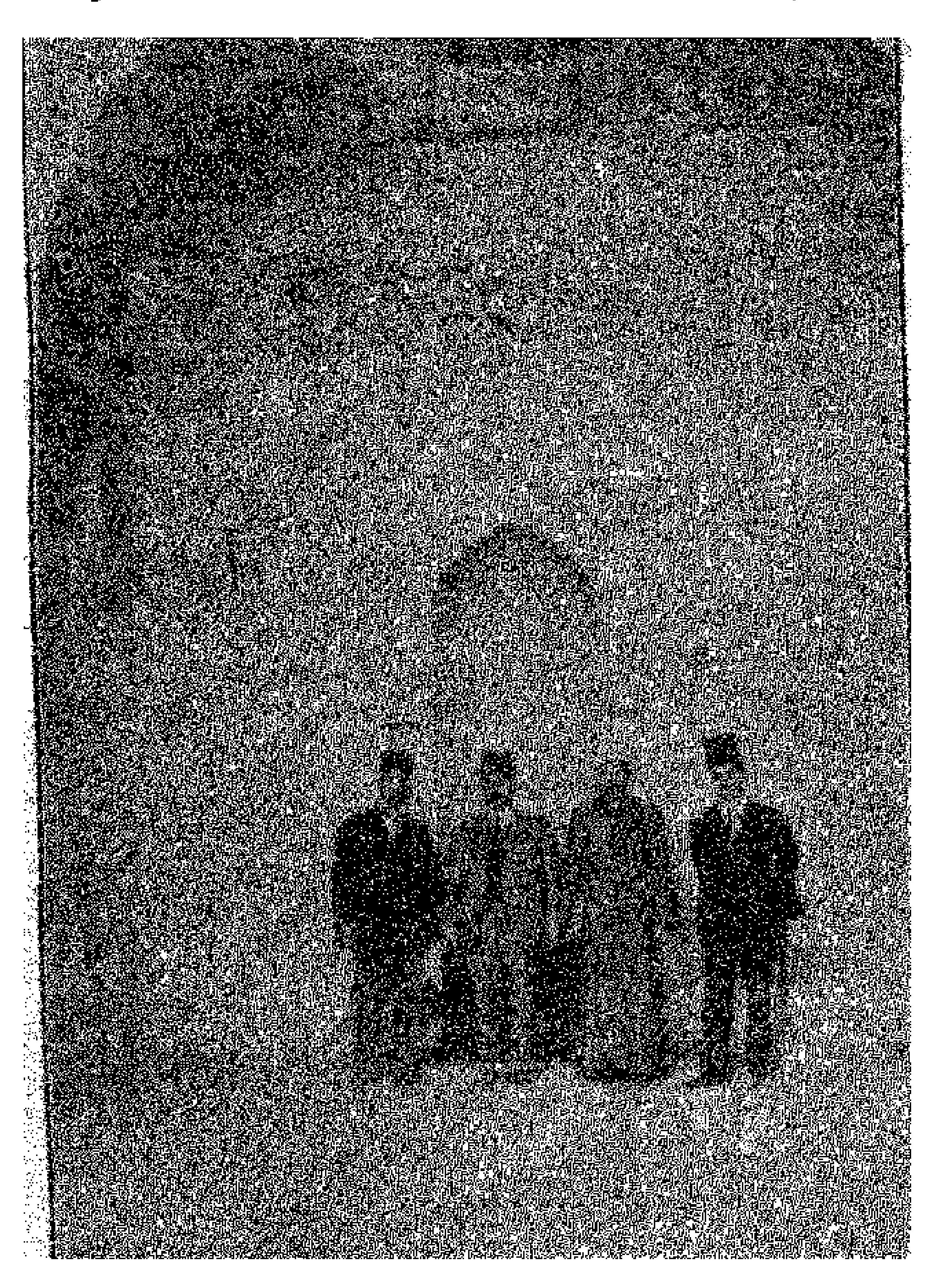
فأشارت جريدة الأفكار الغرّاء بتاريخ ٧ رجب سـنة ١٣٣٦ هـ (١٨ أبريل سنة ١٩١٨ م) إلى هذا التحقيق الفنى معترفة بفضل كاتب هذه السطور .



وكتب المقطم الأغر بتاريخ ١٢ رجب سنة ١٣٣٦ هـ (٢٣ ابريل سنة ١٩١٨ م) ما نصه :

« توجه بعـد عصر ٢١ مارس المـاضى بعض مهندسى الآثار العربيـة، »
« وحضرة الأثرى الفاضل "يوسف أحمد أفندى" رئيس مفتشى لجنة حفظ »
« الآثار، ووفد كبير من رجال العلم والتاريخ، وكثيرون من طلبة المدارس »
« الثانوية والعالية، ولفيف من القسم النظامى بالأزهر، وكثيرون من المدرّسين »
« إلى القلعة التى أنشأها بأعلى جبل المقطم المغفور له "محمد على باشا". وبعد »
« ما وصلوا إليها وشاهدوها، وقف حضرة الأثرى يوسف أحمد أفندى وطلب »
« أن يقف إلى جانبه : حضرة الشيخ "محمد عبد الجواد الأصمعى" وتلا ملخص »
« الرسالة التى نشرها الشيخ عبد الجواد الأصمعى فى تحقيق مشيد هذه القلعة، »

« وعزز قوله بمـا قرره من الوجهة الفنية . ومما قاله فى محاضرته هـذه : »
« (إنّ مبانى هذه القلعة وكرانيشها تركية[١]، وهى تماثل الشكل الموجود فى الباب »
« المتوسط فى قلعة صلاح الدين ، فهى بلا ريب من آثار "محمد على باشا" »
« لا من أعمـال نابليون) . وشكر الأستاذ المحقق شكرا جزيلا، لإظهاره هذه »



المستكشف وعلى يمينـه الباحث المحقق حضرة صاحب العزة محمد رمزى بك وحضرة الأثرى الفاضل يوسف أحمد افندى . وعلى يساره حضرة الفاضـل أحمد موسى افندى المهندس، أمام محراب مسجد الجيوشى بعد زيارتهم لقلعة "محمد على" [تصوير حضرة أحمد موسى افندى المهندس بالأوقاف الملكية]

(١) هذا الرأى الفنى جاء مطابقا لما قاله المارينال "مارمون" فى صحيفة ٢ بأنها : "على النسق التركى" وهو يشهد لحضرة الأثرى يوسف أحمد افندى برسوخ قدمه فى معرفة الآثار وخبرته التامة بدقائقها الفنية .

« الحقيقة التاريخية بعد البحث الطويل ، والسعى الكثير ، وطلب منه ان يقف »
« منفردا بجانب باب القلعة مشيرا بعصاه إلى الكتابة التى كتبت بالطلاء حديثا »
« على باب القلعة بالعربى والفرنسوى ونصها : »
« "قلعة محمد على باشا أسسها سنة ١٢٢٤ — ١٢٢٥ هـ (١٨٠٩ — ١٨١٠ م) »
« حقق ذلك الشيخ محمد عبد الجواد الأصمعى". ووقف الجميع صفوفا ، ثم أخذت »
« صورتهم الفتوغرافية » .
« وعسى لجنة حفظ الآثار العربية ، أن تجعل هــذه القلعة ضمن آثارها ، »
« وتعدها من الأماكن التى يقصدها الزائرون . » [كما تراه فى هذه الصفحة]

رأى المهندسين الفنيين
عن قلعة محمد على
وأقوال الصحف والمجلات

الصحف العربية

المقطم

قلعة محمد على

توجه بعد عصر ٢١ مارس الماضي بعض مهندسي الآثار العربية وبحضرتهم عزتلو يوسف افندي احمد المفتش بلجنة حفظ الآثار ووفد كبير من رجال العلم والتاريخ وكثيرون من طلبة المدارس الثانوية والعالية وطلاب من القسم العالي بالازهر وكثيرون من المدرسين الى القلعة التي أنشأها الغازي محمد علي باشا و[illegible] وشاهدوها وقف حضرة الاثري يوسف افندي احمد وطلب الى حضرة الشيخ محمد عبد الجواد الاصمعي وتلا ملخص الرسالة التي شرحها الشيخ محمد عبد الجواد الاصمعي [illegible] مشيد هذه القلعة [illegible] ان مباني هذه القلعة وشرفاتها تركية وهي تماثل الشكل الموجود في الباب الاوسط في قلعة صلاح الدين فهي بلا ريب من آثار محمد علي لا من اعمال نابوليون ، وشكر الاستاذ المفتش شكراً جزيلاً لاظهاره هذه الحقيقة التاريخية بعد البحث الطويل والسعي الكثير وطلب منه ان يقف منفرداً بجانب باب القلعة مشيراً بعصاه الى الكتابة التي كتبت بالطلاء حديثاً على باب القلعة بالعربي والفرنسوي ونصها .

« قلعة محمد علي باشا اسسها سنة ١٢٢٤ — ١٢٢٥ هجرية (١٨٠٩ — ١٨١٠ م) حقق ذلك الشيخ محمد عبد الجواد الاصمعي » ووقف الجميع صفوفاً ثم اخذت صورتهم الفوتوغرافية

وعسى لجنة حفظ الآثار العربية ان تجعل هذه القلعة ضمن آثارها وتعدها من الاماكن التي يقصدها الزائرون

الافكار

قلعة محمد على

[illegible] القلعة [illegible] من آثار [illegible] ولكن حضرة الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعي أكد ان هذه القلعة من آثار محمد علي [illegible] الآثار [illegible] مباني هذه القلعة وشرفاتها تركية وهي تماثل الشكل الموجود في الباب الاوسط لقلعة صلاح الدين فهي من آثار محمد علي لا من اعمال نابوليون [illegible] القلعة بالطلاء [illegible] بالعربية والفرنسوية [illegible] الاصمعي [illegible] التاريخية [illegible] صورة شمسية على القلعة ومكتوب حقيقتها

مجلة المقتطف

مايو ١٩١٨ — الاخبار العلمية — المقتطف

قلعة محمد علي
ورأي المهندسين الفنيين

توجه بعض مهندسي الآثار العربية وبمعيتهم حضرة الاثري يوسف افندي احمد المفتش بلجنة حفظ الآثار العربية وجماعة من رجال العلم والتاريخ وعدد كبير من طلبة المدارس المختلفة الى القلعة التي انشأها بأعلى جبل المقطم المغفور له محمد علي باشا رأس الاسرة السلطانية الكريمة وبعد ما وصلوا اليها خطب حضرة يوسف افندي احمد ملخصاً الرسالة التي نشرها الشيخ عبد الجواد الاصمعي ثم قال ان مباني هذه القلعة وشرفاتها تركية وهي تماثل الشكل الموجود في الباب الاوسط من قلعة صلاح الدين فهي بلا ريب من آثار محمد علي لا من اعمال نابوليون . وشكر الاستاذ الاصمعي لاظهاره هذه الحقيقة التاريخية وطلب منه ان يقف بجانب باب القلعة مشيراً بعصاه الى الكتابة التي كتبت بالطلاء حديثاً على باب القلعة بالعربية والفرنسوية ونصها « قلعة محمد علي باشا اسسها سنة ١٢٢٤ — ١٢٢٥ هـ (١٨٠٩ — ١٨١٠ م) حقق ذلك الشيخ محمد عبد الجواد الاصمعي » ووقف الجميع صفوفاً ثم صورت صورتهم الفوتوغرافية تخليداً لذلك الحادث التي صورها حضرة علي افندي يوسف بمصلحة تنظيم القاهرة كما ترى مقابلة هذا

ولا يسعنا بعد هذه البراهين التاريخية والفنية الا ان نطالب لجنة حفظ الآثار العربية بان تجعل هذه القلعة بين آثارها وتعدها من الاماكن التي يقصدها الزائرون من كل بلاد لا سيما وان هذا الاثر الفخم من تذكارات اعمال ذلك البطل العظيم الذي خلد له التاريخ اسماً لا يمحى ويوافق ذلك نص ماء في المادة الاولى من قانون الآثار العربية الجديد الذي اقره مجلس الوزراء في جلسة ١٣ ابريل سنة ١٩١٨ ونصه

« يعد اثراً من آثار العصر العربي كل ثابت او منقول يرجع عهده الى المدة المنحصرة بين فتح العرب لمصر وبين وفاة محمد علي وله قيمة فنية او تاريخية او اثرية باعتباره مظهراً من مظاهر الحضارة الاسلامية او الحضارات المختلفة التي قامت على سواحل البحر الابيض المتوسط وكانت لها صلة تاريخية بمصر » .

"المقطم" بتاريخ ١٢ رجب سنة ١٣٣٦ هـ (٢٣ أبريل سنة ١٩١٨ م) .
"الأفكار" بتاريخ ٧ رجب سنة ١٣٣٦ هـ (١٨ أبريل سنة ١٩١٨ م) .

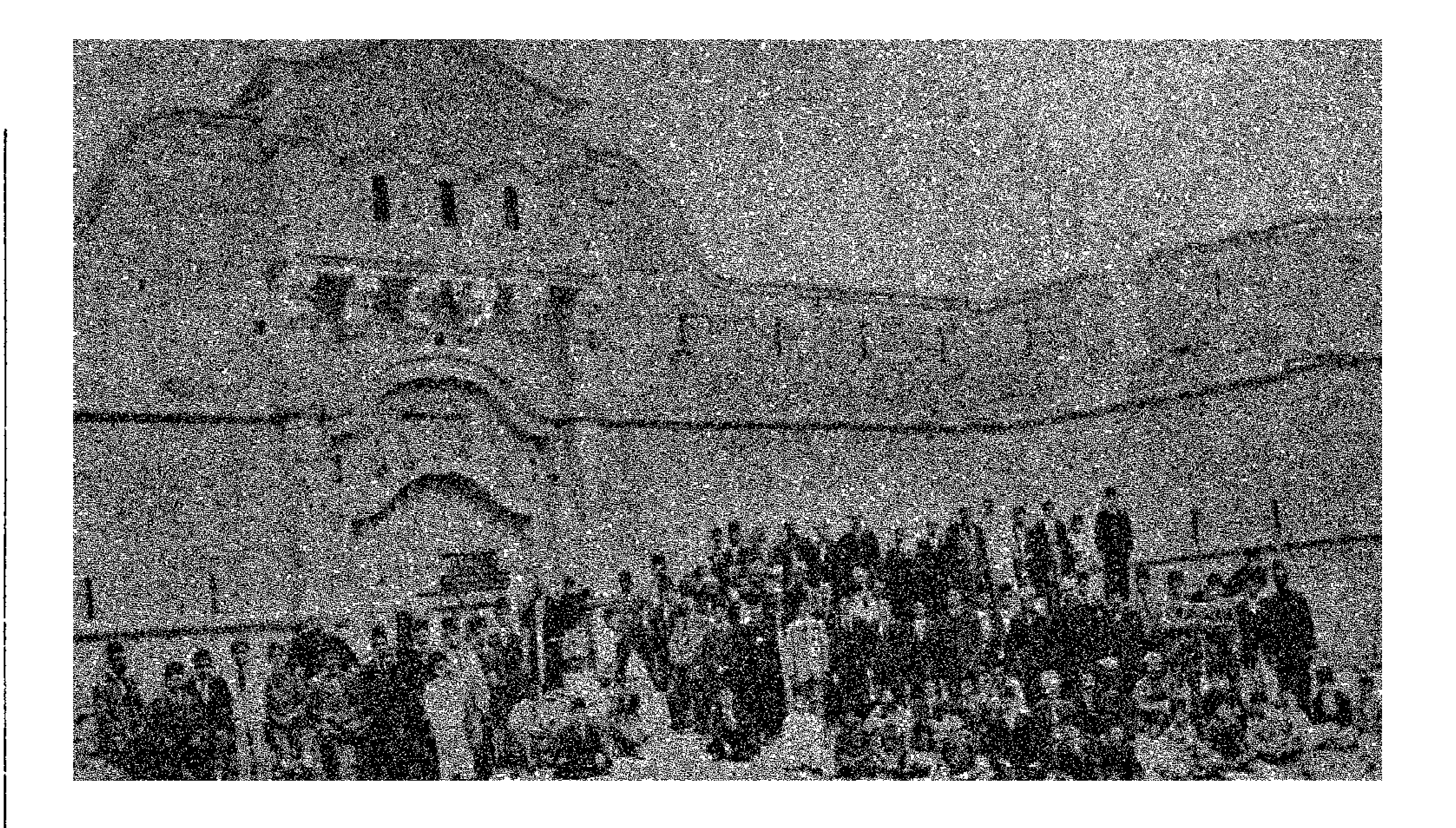
∴

§ ونشرت مجلة المقتطف الغرّاء بعددها الصادر فى مايو سنة ١٩١٨م بما لا يخرج عما كتبه المقطم مشفوعا بالصورة الشمسية التى صورها حضرة الأستاذ الفنى "على يوسف أفندى" المهندس بمصلحة تنظيم القاهرة [وهى التى ترى خلف هذه الصفحة] وعلقت عليه بقولها : ٥

« ولا يسعنا ، بعد هـذه البراهين التاريخية والفنية ، إلا أن نطالب لجنة »
« حفظ الآثار العربية بأن تجعل هذه القلعة بين آثارها ، وتعدّها من الأماكن »
« التى يقصدها الزائرون من كل البلاد، لاسيما وأن هذا الأثر الفخم من باكورة »
« أعمال ذلك البطل العظيم، الذى خلّد له التاريخ آسمـا لا يمحى . ووفق ذلك »
« فقد جاء فى المـادّة الأولى من قانون الآثار العربية الجديد الذى أقرّه مجلس » ١٠
« الوزراء فى جلسة ١٣ أبريل سنة ١٩١٨ م ما نصه :

« يعـدّ أثرا من آثار العصر العربىّ كل ثابت أو منقول يرجع عهـده الى »
« المدّة المنحصرة بين فتح العرب لمصر وبين وفاة محمد على مما له قيمة فنية »
« أو تاريخية أو أثرية باعتباره مظهرا من مظاهر الحضارة الإسلامية أو »
« الحضارات المختلفة التى قامت على سواحل البحر الأبيض المتوسط وكانت » ١٥
« لها صلة تاريخية بمصر . »

§ وقد أثبتنا ما قالته هـذه المجلة الغراء حرفيا، مأخوذا عنها بالتصوير الشمسى، لأنها أكبر مجلة عربية مصرية منتشرة فى جميع أنحاء العالم الشرقى . كما أثبتنا أقوال الصحف العربية التي تفضلت بنشر رأى المهندسين الفنيين عن قلعة محمد علي .



صورة المستكشف أمام قلعة محمد على مع بعض مهندسى الآثار العربيـة ومعهم حضرة الأثرى الفاضل يوسف أحمد أفندى رئيس مفتشى لجنة حفظ الآثار العربيـة ، وجماعة من رجال العلم والتاريخ ، وعدد كبير من طلبة المدارس المختلفة . [نقلا عن مقتطف مايو سنة ١٩١٨ م]

§ ومن الصحف الإفرنجية التي كتبت عن رأي المهندسين الفنيين : "الجورنال دى كير" بتاريخ ٢٨ أبريل سنة ١٩١٨ م . و"لابورص القاهرة" بتاريخ ٩ مايو سنة ١٩١٨ م . و"لابورص الإسكندرية" بتاريخ ٩ مايو سنة ١٩١٨ م . وقد شكرت كاتب هذه السطور شكرا جزيلا لحسن اجتهاده، وسعة اطلاعه في البحث والتنقيب . وإلى القارئ بعض ما قالته هذه الصحف حرفيا مأخوذا عنها بالتصوير الشمسي :

لابورص الاسكندريه

EDITION D'ALEXANDRIE

LA BOURSE EGYPTIENNE JEUDI, 9 MAI 1918

أقوال الصحف الإفرنجية

لابورص القاهرة

BOURSE EGYPTIENNE JEUDI, 9 MAI 1918

« الجورنال ديكير »

Le fort Méhémet-Ali

et l'opinion des ingénieurs experts

Dans l'après-midi du Jeudi 21 Mars 1918, un ingénieur près le Comité pour la Conservation des Monuments de l'Art Arabe, accompagné par Youssef Effendi Ahmed, inspecteur général de ce Comité, se rendit à la forteresse bâtie sur la hauteur du Mokattam par Méhémet-Ali, fondateur de la dynastie sultanienne. Ils étaient accompagnés d'une députation nombreuse de savants, d'historiens, de professeurs, d'étudiants aux écoles secondaires et supérieures et à l'Université d'El-Azhar. Ayant rencontré l'inscription «Route du Fort Méhémet-Ali », on suivit ce chemin et l'on arriva au pied de la forteresse. Lorsqu'on l'eut visitée, Youssef Effendi Ahmed pria le Cheikh El-Asmaï de prendre place à ses côtés et, s'adressant à l'assistance, il résuma en quelques mots le mémoire que ce jeune érudit avait communiqué à la presse indigène et européenne en vue de faire la lumière sur la véritable origine de la forteresse. Youssef Effendi Ahmed corrobora les conclusions du Cheikh El-Asmaï, par ses constatations personnelles au point de vue du style architectural. « Ce monument, dit-il, est une construction turque : ces corbeaux saillants sont du même style que ceux qui surmontent la porte centrale de la Citadelle de Safadin. Assurément, nous sommes ici en présence d'un monument élevé par Méhémet-Ali et non par Napoléon. » Ensuite il félicita le Cheikh El-Asmaï d'avoir su, dans cette question, établir la vérité historique grâce à ses longues recherches et à ses efforts persévérants. Enfin il le pria de se tenir seul près de la porte du fort, montrant de sa canne l'inscription peinte récemment en arabe et en français : « **Fort Méhémet-Ali fondé en 1227-1224 de l'Hégire (1809-1810), ainsi que cela a été établi par le Cheikh Mohamed Abdel-Gawad El-Asmaï ».** Tous les visiteurs se rangèrent à leur tour et l'on prit une photographie afin de perpétuer le souvenir de cette vérification technique dont la conclusion est imposée par le style même du monument. Nous avons eu le plaisir de voir cette intéressante photographie due à l'intelligente initiative de Aly Effendi Youssef, fonctionnaire à l'Administration du Tanzim du Caire, le même qui avait été choisi par la Commission de la Conservation des Monuments de l'Art Arabe pour prendre le portrait de Sa Hautesse le Sultan au milieu des ruines de l'antique Fostat, lors de sa visite du 10 Avril 1918.

Fort de toutes ces constatations d'ordre historique et architectural, nous prenons la liberté d'insister auprès du Comité pour la Conservation des Monuments de l'Art Arabe, pour qu'elle prenne cet édifice sous sa sauvegarde et la compte au nombre des lieux célèbres qui attirent les visiteurs des contrées mêmes les plus éloignées, attendu qu'il constitue en quelque sorte les prémices des œuvres de ce grand homme qui devait laisser dans l'histoire un nom immortel. Ce faisant, on se conformerait à l'article 1er du nouveau règlement sur les Monuments de l'Art Arabe, arrêté en Conseil des Ministres, à la séance du 13 Avril 1918 et publié au Journal Officiel du 15 du même mois. Cet article stipule ce qui suit :

« Est considéré monument de l'époque arabe tout immeuble ou objet mobilier remontant à la période comprise entre la conquête de l'Egypte par les Arabes et la mort de Méhémet-Ali et qui présente une valeur artistique, historique ou archéologique, en tant que manifestation, soit de la civilisation musulmane, soit des différentes civilisations méditerranéennes ayant eu avec l'Egypte un rapport historique. »

قلعة محمد على ولجنة حفظ الآثار العربية

§ وقد طلبنا من لجنة حفظ الآثار العربية تسجيل هــذه القلعة ، وعدّها ضمن الآثار العربية ليقصدها الزائرون ، فأرسلنا إلى حضرة صاحب المعالى رئيس لجنة حفظ الآثار العربية ووزير الأوقاف خطابا بتاريخ ٣٠ أبريل سنة ١٩١٨ م بشأن ذلك . وإليك صورته الشمسية : ٥

حضرة صاحب المعالى رئيس لجنة الآثار العربية

أتشرف بأن أقدم لمعاليكم نبذة تاريخية عن قلعة المغفور له محمد على باشا رأس العائلة السلطانية الجليلة المشيدة بأعلى جبل المقطم وترجمتها بالفرنسية بأمل عرضها على لجنة حفظ الآثار لأجل تسجيل هذه القلعة ضمن الآثار العربية الواجب المحافظة عليها لاسيما وأنها هى القلعة الوحيدة الباقية بمصر من عهد هذا العزيز عملا بما جاء فى المادة الأولى من قانون الآثار العربية الجديد الذى أقره مجلس الوزراء فى جلسة ١٢ ابريل ١٩١٨ ونشر فى الجريدة الرسمية بتاريخ ١٥ من هذا الشهر . وتفضلوا معاليكم بقبول فائق احترامى ١٠

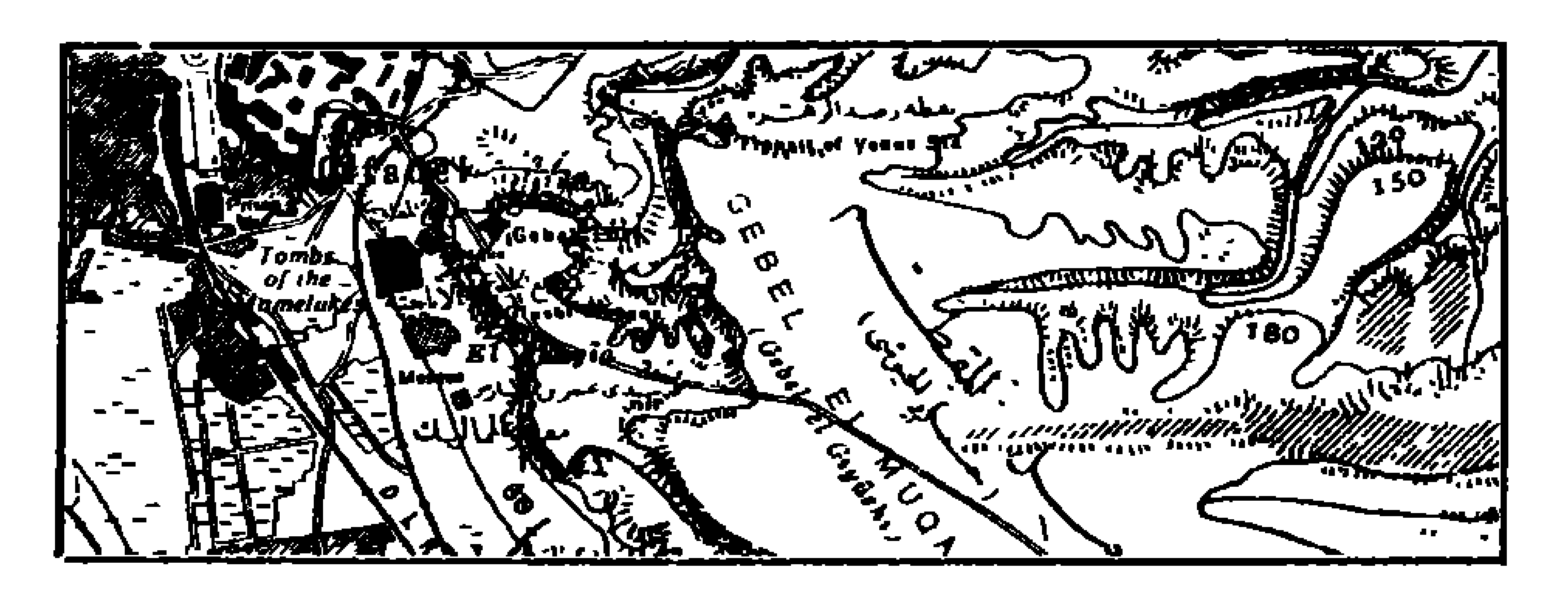
تحريرا فى ٣٠ ابريل ١٩١٨ — محمد عبد الجواد الأصمعى

§ وقد عرض هذا البحث على أعضاء لجنة حفظ الآثار العربية فأقروه بالإجماع . وأرسلت إلينا اللجنة خطابا بتاريخ ١١ مارس سنة ١٩١٩ م رقم (٦٠٥) تخبرنا فيــه بتسجيل هذه القلعة ضمن الآثار العربية باسم : "قلعة محمد على" تحت رقم (٤٥٥) وتفيدنا : « بأنها أصبحت تعــد من آثار العصر العربى ، الموكول إلى لجنة حفظ الآثار العربية أمر العناية بها » . ١٥

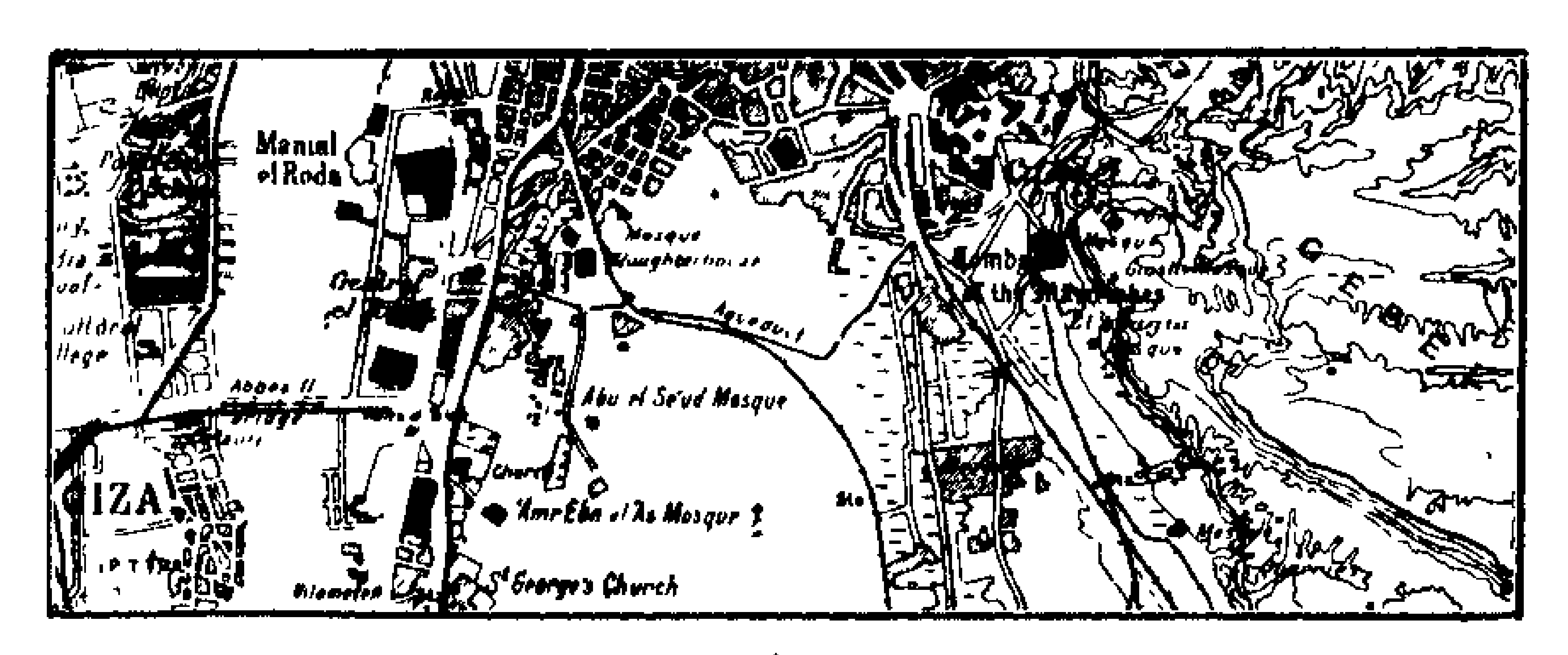
قلعة محمد على ومصلحة المساحة المصرية ٢٠

§ وقد أرسلنا لجناب مدير عام مصلحة المساحة المصرية المستر : ل . ب . ولدن (L. B. Weldon) خطابا أخبرناه فيــه بأننا اطلعنا على لوحة ١ — ٦ — ١

مقياس ١/٥٠٠٠ التى طبعت سـنة ١٩١٧ م وسـنة ١٩١٨ م ، فوجدنا أن مصلحة المساحة قد أطلقت آسمـا جديدا لقلعة المقطم ، فسمتها : "طابية ناپليون" مع أن اللوحة التى طبعت سنة ١٩١٠ م مقياس ١/٥٠٠٠ ، واللوحة التى طبعت سنة ١٩١٢ م مقياس ١/٧٥٠٠ ، واللوحة التى طبعت سنة ١٩١٦ م مقياس ١/١٠٠٠٠ ، سُمّيت فيها هذه القلعة باسم : "قلعة الجبل" فقط (كما ترى صورها الشمسية فى الصفحة المقابلة لهذا) وأخبرناه باهتدائنا إلى صحة تسميتها ونسبتها إلى "محمد على" بعـد طول البحث ، وكثرة التنقيب . وأرسلنا إليـه نسخة من هـذا البحث ، مشفوعا بالخرائط المذكورة ، ورجونا منـه الأطلاع عليها ، وعلى هـذا البحث التاريخى وتصحيح الخطأ الذى وقعت فيه مصلحة المساحة فى جميع الخرائط التى طبعت ، وتلافى ذلك فى الطبعات الجديدة . وحيث إن البـانى لهـا هو ساكن الجنان المغفور له "محمد على باشا" ومصلحة المساحة تتوخّى الحقيقة ، وتتحرّى الصدق ، فيجب نسبتها إليه . فورد إلينا من هذه المصلحة الرد الذى نثبت صورته الشمسية فيما يلى ، بعد إثبات صور الخرائط الشمسية التى تؤيد رأينا ، وتُثبت الخطأ الذى وقعت فيه مصلحة المساحة :

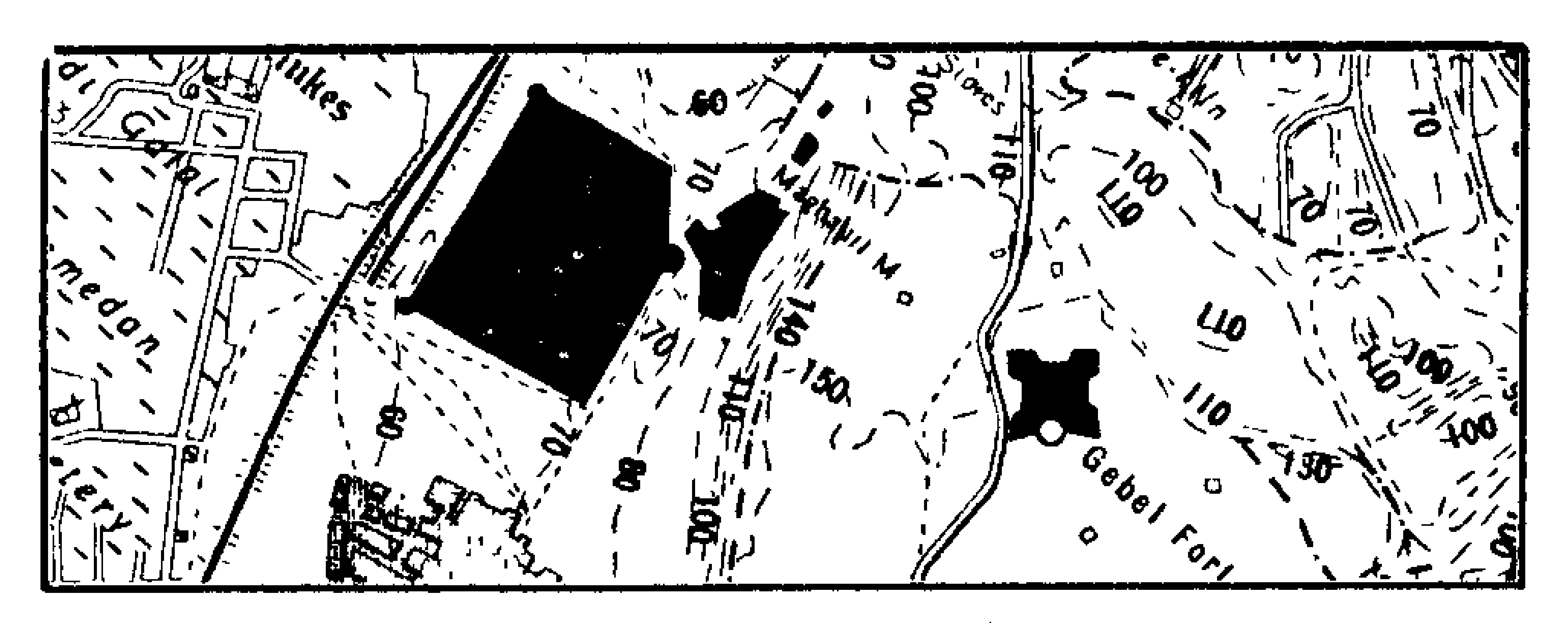


نقلا عن خريطة القطر المصرى مقياس ١/٥٠٠٠٠ لوحة ٢ – ١ شمـال شرق (واحد آشين) التى مسحت بمعرفة مصلحة المساحة سنة ١٩٠٩ – ١٩١٠ م وطبعتها سنة ١٩١٠ م وقد أطلقت على "قلعة محمد على" آسم "قلعة الجبل" فقط



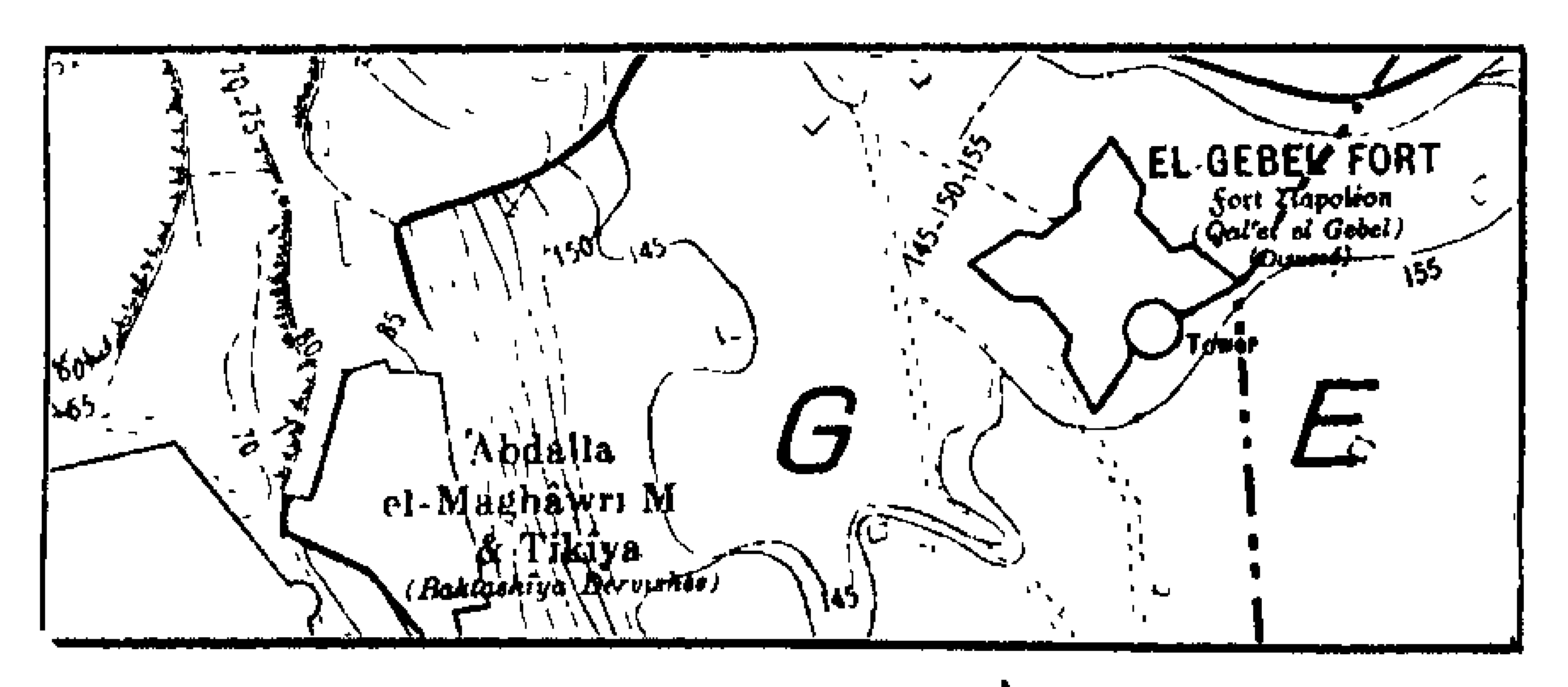
نقلا عن خريطة مدينة القاهرة وضواحيها مقياس $\frac{1}{7500}$ التى طبعت بمعرفة مصلحة المساحة سنة ١٩١٢ م

وقد أطلقت على قلعة "محمد على" آسم "قلعة" فقط



نقلا عن خريطة القاهرة مقياس $\frac{1}{1000}$ لوحة حرف A التى طبعت بمعرفة مصلحة المساحة سنة ١٩١٦ م

وقد أطلقت على "قلعة محمدعلى" آسم "قلعة الجبل" فقط



نقلا عن خريطة القاهرة مقياس $\frac{1}{500}$ لوحة ١ — ٦ — ١ التى طبعت بمعرفة مصلحة المساحة سنة ١٩١٧م

وقد أطلقت على "قلعة محمد على" آسم "قلعة الجبل" أو "طابية نابليون"

صورة الجواب الذى ورد إلينا من مصلحة المساحة المصرية
مأخوذة بالتصوير الشمسى :

وزارة المالية
مصلحة المساحة المصرية

MINISTRY OF FINANCE
SURVEY OF EGYPT.

الاجابة تكون بالعنوان الآتي
جناب مدير عام
مصلحة المساحة المصرية
الجيزه (مديرية)
مع ذكر
نمرة A/٤٤٨
٢٢/١/٢٠

The reply to be addressed:
Surveyor General of Egypt
Giza, (Mudiriya)
& the following number quoted
No. ......

ENCLOS
PARCELS ......

عدد { المرفقات كتاب حاربه فراخ
{ الطرود أو الملفات ..

تسمية قلعة الجبل

حضرة المحترم الشيخ محمد عبدالجواد الاصمعى
بدار الكتب المصريه بباب الخلق بمصر

اتشرف بالافادة بوصول مكتوب حضرتكم الرقيم ١٧/١/١٩٢٣
بالخصوص اعلاه وانى اشكركم كل الشكر واحيط حضرتكم علما باننا
قد اصدرنا التعليمات اللازمة لوضع اسم قلعة محمد على على
خرائط هذه المصلحة كما اصطلحت عليه لجنة حفظ الاثار العربيه
وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ؛

ت ٢٩/١/١٩٢٣ المدير العام

L. Weldon

TELEGRAMS. "SURVEY GIZA." (Code A.B.C. 6th Ed.) — TELEPHONES. 3621 3622 & 1926.

العنوان التلغرافي : المساحة بالجيزة — التليفون : نمرة ٣٦٢١ و٣٦٢٢ و١٩٢٦

قلعة محمد على وحضرة صاحب الجلالة المعظم "ملك مصر"

§ ولما سطع نور هذا البحث التاريخىّ الأثرى، فى بدء عهد حضرة صاحب الجلالة المعظم "الملك فؤاد الأول" وارتقائه عرش "المملكة المصرية" : رأينا أن نتوج هذا البحث بتاج المجد والفخار، فبادرنا بتقديمه، لسُدّته العلية فى كتاب جمع بين دفّتيه : مهارة المصرىّ فى الرسم والتصوير، وإبداعه فى النقش والتلوين، وجودته فى الخط، وجمال ذوقه فى التجليد . ٥

§ ويقع هذا الكتاب فى ست وعشرين صفحة، طول الصفحة ٣٥ × ٢٥ سنتيمترا. وكل صفحة محلّاة بإطار يخالف الذى قبله فى الزخارف المتنوّعة الأشكال، والنقوش المختلفة الألوان؛ مما يشهد للراسم المصرى بابتداع أفانين لا تُبارَى فى الجودة والإحكام، فأصبحت المفرد العلَم فى الجمال والرُّواء . ١٠

§ ولئن وقع عليها نظر إنسان، ليحار فى أيّها أعجب فى الصنعة، وأبدع فى الشكل؛ هل لتلك الرسومات التى جاءت آيةً من آيات المصرىّ فى الذكاء ؟ أم لحسن الخط الذى كتب بعدة أشكال مختلفة ؟ أم لهذا التجليد الذى هو المثل الأعلى لصناعة المصرىّ وتفوّقه فى الإبداع؟ فمن مميّزات جلدة هذا الكتاب أن ظاهرها محلّى بزخارف عربية أنيقة، مفصّلة تفصيلا دقيقا، ومذهّبة تذهيبا متقنا . وفى أولها رسم التاج الملكى بارزا بالذهب الإبريز، وفى آخره رسم العلم المصرى بالذهب الإبريز أيضا . ١٥

§ وقد صدّرناه بصورة المغفور له ساكن الجنان "محمد على باشا" الكبير مرسومة بريشة اليد، وكتبنا تحتها هذين البيتين :

هذا "محمد" ! كم بنى من "قلعة" * ليذود عنا ما نخاف من الردَى .
شاد العدالة والعلوم بأرضنا، * وبنى "الحصون" لصون ما قد شيدا. ٢٠

§ وبعدها صورة صاحب الجلالة المعظم "الملك فؤاد الأول" مرسومة بريشة اليد أيضا، وكتبنا تحتها هذين البيتين :

"مَلِيكُ" "مِصْرَ" "فُؤَادٌ" * وَرِيثُ عَرْشِ "مُحَمَّدْ"
أَعَادَ مَجْدَ أَبِيهِ؛ * لِلنِّيلِ وَالْعَوْدُ "أَحْمَدْ"

٥ § ولما رفعناه إلى جلالته شرّفه — أدام الله ملكه — بحسن القبول، وحاز رضاء جلالته، وحفظ بمكتبته الخاصة .

⁂

قلعة محمد على والجامعة المصرية وأقوال الكتّاب والشعراء

١٠ § وقد أرسل إلينا كثيرون من مشهورى الكتّاب المعروفين ، وفحول الشعراء المعدودين : عبارات الشكر، وكلمات الثناء، لمناسبة إظهارنا هذه الحقيقة التاريخية، وفى أولهم "الجامعة المصرية" التى بعثت إلينا بخطاب تاريخه ١١ أبريل سنة ١٩١٨ م رقم (٢٦٠) تكلفنا فيه إرسال هذا البحث التاريخى إليها لتعميم فائدته بوضعه تحت أنظار أساتذة الجامعة وطلبتها، وهذه صورته الشمسية :



السكرتارية

مصر في ١١ ابريل سنة ١٩١٨

نمرة ٢٦٠ -

حضرة الفاضل محمد افندي عبد الجواد الاصمعي

تطمع الجامعة المصرية في أن يكون بمكتبتها مؤلفكم النفيس

- - - قلعة محمد علي لا قلعة نابليون -

تخليدا لاسمكم وأملا في تعميم فائدته بوضعه تحت أنظار

اساتذة الجامعة وطلبتها

فحبذا لو حققتم رغبتها هذه وتكرمتم بأهدائها بضع نسخ

منه ونرجو التفضل بقبول عظيم شكرنا سلفا مع فائق الاحترام

سكرتير الجامعة



§ فأرسلنا إلى حضرة صاحب العزة "محمد وجيه بك" سكرتير الجامعة المصرية وقتئذ، هذا الرد بتاريخ ١٤ أبريل سنة ١٩١٨ م ؛ ونصه :

حضرة صاحب العزة المحترم سكرتير الجامعة المصرية :

§ ردا على إفادة عزتكم الواردة لى بتاريخ ١١ أبريل سنة ١٩١٨ رقم : ٢٦٠ بخصوص إرسال بعض نسخ من الرسالة التى نشرتها بعنوان : (قلعة محمدعلى لا قلعة ٥ نابليون) لحفظها بمكتبة الجامعة : أعرفكم أنه مع مزيد الأسف لم يكن عندى منها إلا نسخة خاصة لى وترجمتها بالفرنسية ، فرأيت أن أؤثر الجامعة على شخصى إجابة لطلبكم، ولذا بادرت بإرسالها مشفوعتين بكل شكر وآحترام . وبعد تمام طبع رحلة "الغابة المتحجرة" التى ستدون بها هذه النشرة : أتشرف بتقديم ما طلبتم ؛ وتقبلوا ١٠ منى فائق الإحترام ؟

[signature]

* * *

بجاءنا من عزته الرد الآتى بتاريخ ١٥ أبريل سنة ١٩١٨ م رقم : ٢٧٢ ونصه :

§ أتشرف بأن أقدم لحضرتكم باسم دولة رئيس مجلس إدارة الجامعة المصرية مزيد شكرى على الكتب المبينة أدناه التى تكرمتم بها على مكتبتنا وأرجوكم قبول ١٥ فائق آحتراماتى ؟ سكرتير الجامعة

محمد وجيه

* * *

§ وأرسل إلينا حضرة الأثرى الفاضل "يوسف أحمد أفندى" مفتش لجنة حفظ الآثار العربية خطابا بتاريخ ٦ فبراير سنة ١٩١٨ م جاء فيه بعد الديباجة ما نصه :

٢٠ « قد آستلمت أمس تحقيقاتكم عن القلعة، والحق يقال : إنها أزالت عن الآثار، سجاف الأوهام » . يوسف أحمد

⁂

§ وأرسل إلينا أمير البيان حضرة الكاتب البليغ الشهير "السيد مصطفى لطفى المنفلوطى" المفتش بوزارة المعارف العمومية : خطابا بتاريخ ٢٨ فبراير سنة ١٩١٩ م يشكر فيه عنايتنا لتحقيق "قلعة محمد على" وهذا نصه بعد الديباجة :

§ كان الناس قد أكبروا أن ينسبوا أثرا شرقيا عظيما، فى بلد شرقى، إلى عاهل شرقى؛ فنسبوه إلى ملك أوربى لا شأن له فيه . وكذلك إذا ساء حظ البلد، وساء رأى الناس فيه، سلبوه كل شىء، حتى تاريخه وماضيه .

§ لذلك شكرت لك أيها الباحث الفاضل ، تلك اليد البيضاء التى أسديتها إلى الأمة فى كشف تلك الحقيقة الغامضة، وإدلائك بها إلى الناس .

§ ولو كنتُ ممن يعتقدون بعظمة القواد ، ويقيمون لعملهم وزنا : لسميتك الفاتح العظيم، لأنك رددتَ إلى وطنك قلعته التى غلبه الأجنبى عليها برهة من الزمان، فأصبحت تسمى : "قلعة محمد على" كما كانت، بعد أن سُمّيَت أعواما طوالا : "قلعة نابليون" ولكنى أسمّيك خادم التاريخ، والخادمُ فى دولة العلم، خير من القائد فى دولة السيف . أكثر الله من أمثالك العاملين المجدّين ، وقيّض للشرق من يردّ إليه جميع حقوقه المسلوبة منه إن شاء الله تعالى .

مصطفى لطفى المنفلوطى

⁂

§ وأرسل إلينا حضرة الباحث المحترم الأستاذ "محمد نوفل افندى" أستاذ التاريخ بالمدرسة الخديوية وقتئذ خطابا بتاريخ ٢٣ فبراير سنة ١٩١٩ م، هذا نصه :

قلعة محمد على لا قلعة نابليون

§ إن التاريخ إيراد أخبار سلفت، ووقائع ومبانٍ وآثار تقادم عليها العهد، وهى بين ظهرانينا تشهد لنا بعظمة الماضى، وتمثل لنا العبر والعظات . ولا يكون التاريخ صحيحا إلا بعد البحث والتنقيب، ونبذ ما لا يقبله العقل، وتوضيح ما يعتريه الشك والغموض، وإنعام النظر فيه ، وإعمال الفكر للوصول إلى الحلقة المفقودة التى تربط الماضى بالحاضر .

§ مَن مِن الناس كان يدور فى خلده أن حقيقة تاريخية، وأثرا عظيما كهذه القلعة : تظل مختفية عن العقول لا يدركها البحث ، ولا تزول عنها الحجب الكثيفة ، التى لا يجسر على كشفها إلا باحث وراء الحق ؟

§ هذا الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى ، قد أظهر كفاءة نادرة، وهمة قعساء فى كشف النقاب عن هذه الحقيقة التاريخية الهامة، وأهداها لأمته المصرية قائلا : هاؤم "قلعة محمد على" مؤسس مجد بلادكم، ورافع صروح فخارها، قد لعبت بها أيدى المؤرخين، وسلبوها حظها ونسبوها "لنابليون". وجاء الخلف فقبلها قضية مسلّمة! فلا عجب إن قامت فى مصر ضجة الناس، واشرأبت أعناقهم لقول الأستاذ "الأصمعى" إن هذه إلا بضاعتنا ردّت إلينا نحن المصريين، فإنا لنؤثر أن نحافظ على ثروتنا التاريخية، ونعمل على صيانتها، من أن تعبث بها أيدى الطامعين .

§ فالتاريخ والمشتغلون به يرحبون بالأستاذ "الأصمعى" ويشكرون له هذه الهمة.

محمد نوفل

أستاذ التاريخ بالمدرسة الخديوية

§ وأرسل إلينا حضرة الباحث المدقق الفاضل "توفيق إسكاروس افندى" رئيس القسم الإفرنجى بدار الكتب المصرية ما نصه :

§ سرى الاعتقاد بالوهم أن ليس فى الشرق رجال ، و إذا وجد منهم ، فليس بينهم مَن يُعتمد عليه، أو يقوم بما يضاهى عمل الإفرنجىّ .

٥ § رسخت تلك العقيدة الوهمية، حتى أكبر الشرقىّ ذلك فى نفسه، فإذا مرض لا يضع ثقته فى غير طبيب متقبّع ، و إذا أراد قضاء حاجة له ، لا يكلّف بها غير إفرنجىّ، كأنما سرّ النبوغ والعبقرية ، لا يحل فى شخص لإتمام جليل الفعال، إلا تحت القبّعة والنظارة، ويقينى أن ذلك متمكّن من النفوس، على أثر ضعف العزيمة والوهَن فى أبناء الشرق زمنا ليس بالقليل .

١٠ § على هذا النمط ظن الناس، أن الأعمال العظيمة لا يقوم بها إلا الإفرنج، ولعل ذلك كان سببا فى تغلب الظن بأن القلعة التى على قمة جبل المقطم هى من صنع "نابليون" — ومَن كطاغية الفرنسيس فى شهرته وقدرته وغزواته — وعززوا ذلك الفكر من غير تمحيص، إلى وجود "نابليون" فى مصر، وأنها كانت ألزم لخططه الحربية من غيرها من المسائل، وكان لرجال حملته أثرا علميا لا زال الناس يستشهدون به إلى اليوم.

١٥ على أن الحقيقة التاريخية، غير الظن والعقيدة الوهمية! فمن يتصدّى لرد الحق إلى نصابه : جدير بالإكبار والإعجاب، وكذلك يكون إكبارنا و إعجابنا بالأستاذ الشيخ "محمد عبد الجواد الأصمعى" حيث جدّ منقّبا ماحثا، حتى اهتدى بالأسانيد التاريخية القوية، إلى أن هذه القلعة ، إنما هى من صنع عزيز مصر ومجدّد حياتها المغفور له "محمد على باشا" .

٢٠ فليهنأ الحق والتاريخ بتلك الحقيقة التاريخية الجليلة التى أسداها الأستاذ إلى العلم.

توفيق إسكاروس

§ وأرسل إلينا شيخ الأدباء، وأستاذ الشعراء، فقيد العلم والأدب المرحوم "حفنى ناصف بك" هذه الأبيات البليغة لتكتب على باب القلعة، ونصها :

نَسَبَ الرُّواةُ إلى الفرنس غريبةً، * لم يَروِها التاريخ فى أدوارِهِ .
ذكروا "لِنابليون" مالم يبنِه ! * والحق لا يَخفَى على أنصارِهِ،
"فالجامع الأسمَى" بناءُ "محمد" * وكذاك هذا "الحِصن" مِن آثارِهِ .

٥

وعملا بوصية المرحوم "حفنى ناصف بك" — طيّب الله ثَراه — صدّرنا بها هذا البحث : مدوّنة تحت صورتى "الجامع" و "القلعة" وصورة مشيدهما "محمد على" فى شكل واحد، لتكون من الشعر المصوّر، وقد ذيّلناها بتوقيعه .

✦✦✦

١٠

§ وأرسل إلينا حضرة الأديب الفاضل، والشاعر المطبوع "محمود عماد افندى" الموظف بوزارة الأوقاف، هذه الأبيات الممتعة، ونصها :

قل للمعظّم غيرنا : لا تبعد، * ليست "لنابليون" بل "لمحمدِ".
فعلام تسخر بالقريب ومجده! * وإلام تلهج بالغريب المبعدِ!
ما كان غير "عزيز مصر" يشيدها : * حصنا لمصر من الهوان المرصدِ.
القوم، لمّا راقهم ما راقهم، * من بيتنا، وقفوا إليه بمرصدِ!
حتى إذا سرقوا الأثاث تراجعوا، * يتآمرون على الجدار المسندِ!
لم تكفهم فى سطوهم أيديهمو، * فسطوا علينا باللسان، وباليدِ.

١٥

✦✦✦

مازال لاسم "الأصمعىّ" شمائل، * فينا برغم زمانه المتجدّدِ.
بالأمس ناضل جاهدا عن مجدنا، * واليومَ عاد ؛ فهل يعود مع الغدِ؟

٢٠

محمود عماد

§ وأرسل إلينا الأديب الفاضل والشاعر المجيد الشيخ " محمد إبراهيم الجزيرى " أحد خريجى القسم العالى بمدرسة القضاء الشرعى والحائز لشهادة (الليسانس) فى الآداب من الجامعة المصرية وصاحب مجلة القضاء الشرعى: قصيدة غراء؛ وهى:

أنظر لصفحة وجهها المتصدّع؛ * كجبين فانٍ بالمشيب موشّع.
لم يعفها صرف الزمان، وإنما * أسيتْ على نسبٍ أغرّ مضيّع. ٥
عُزِيَتْ إلى النسب الدخيل تخرصا، * والسرّ ثاوٍ فى حنايا الأضلع.
فلو انها أستطاعت لسانا ناطقا، * صدعت بقولٍ للحقيقة منصع.

✦

زعموا "لنابليون" رصف صخورها، * فى كل نادٍ يخطبون ومجمع.
فآستنهضوا ملكين فى بطن الثرى: * جذلان مغتبطا، بقلعة موجع. ١٠
لا ترجموا بالغيب فيها وآعلموا! * أىّ الملوك بقبره لم يهجع؟
" أحمد " ملء المآقى قرة، * وآهنأ ساما فى وثير المضجع.
رُدّ الفرند لِغِمدهِ، والبدر أشرق وجهه خلف العماء المقشع.

✦

ما تجهلّ ضلّ النهى بظلامه، * إلا أضاء بفكر حرّ أصمع! ١٥
كالقلعة العصماء غُيّب سرها، * دون الورى لولا يراع "الأصمعى".
أمّ الحصون، وقد عهدت سميّه، * يأوى إلى وكر الطيور السجّع.
ذا يطلب الأبيات يحفظها، وذا، * يقتاف آثار القلاع الضيّع!

✦

يا عالم الآثار! أبردتَ الصدى، * من كل صبّ بالحقيقة مولع. ٢٠
وشفيتَ للتاريخ حرّى غُلّة، * لولاك ظلت حِقبة لم تنقع.

وأفاض بحثك فوق حصن "محمد" * فضل السحاب على الجناب الممرع؛

فكأن بانيــه يقــول برمسه : * أنت المشيد، لو علمت، له معى.

حسب الحصافة، والنباهة، منك رأ * ى الشيخ فى عزم الفتى الترعرع.

إن كنت فى سن الشباب، فلست فى * نادى الحجا بين الكهول بإمع.

٥ محمد ابراهيم الجزيرى

وأرسل إلينا حضرة الشاعر الكبير المعروف "أحمد نسيم افندى" هذه الأبيات الرقيقة المعنى الدقيقة المبنى :

يا "أصمعى" لقد بحثت مدققا، * بحث الأريب اللوذعى الألمعى.

١٠ قالوا : "لنابليون" شيدت "قلعة" * فقلعت عين القائلين بإصبع.

ودحضت باطلهم بأبلغ حجة، * وأريت مخطئهم صواب "الأصمعى"

فاكتب، وأكد أنها "لمحمد" * وابحث، وجادل بالتى هى، وادفع.

وأفقا — إذا حمى الحجاج مبرزا، * بالقلعة العلياء — عين المدعى.

كاد الأمير، يقول فيك مفاخرا ! * لو كان للأموات، صوت المسمع :

١٥ - «شيدت باسمى، ما تهدم ذكره، * بيد الدعاة، فأنت مشترك معى»

أحمد نسيم

وأرسل إلينا حضرة الأديب الفاضل والشاعر المجيد "محمود فؤاد الجبالى افندى" الموظف بسكرتارية مجلس الوزراء هذه الأبيات الشائقة :

٢٠ همم الملوك كثيرة، وأجلها * ما كان يبنى الملك أو يعليه.

من ذا يفاخرنا، ومجد "محمد" * شمس تضىء لنا كمجد بنيه!

وضع الأساس لملكه، وبناه من * علم فكان المجد ما يبنيه.

مرّ الزمان عليه، وهو مخلّدٌ * يَفنَى الزمان، وذكره يبقيه.
نسبوا "لنابليون" قلعته التى، * هى آيةَ الشرقىّ فى واديه.
فنٌّ، تكلّمك البدائع عنده، * عن أصل صاحبه، وفضل ذويه!
خلّ العداة، الغاصبين وشرعهم؛ * فالعلم ينشر، ما العدا تطويه.
وأعد لنا يا "أصمعىّ" زماننا: * عهدا تكاد يد البِلى تخفيه. ٥
وأفض علينا من بيانك إنه، * عَذبٌ لمَن طلب العلا يرويه.
نزّهتُ قلبك أن يميل مع الهوى، * والحق لا يخفى على أهليه؛
فالملك أصبح بين كفّىْ حازمٍ * يُعلى منار أرومة تنميه.
مَلِكٌ "أبو الفاروق" فوق سريره، * والتاج فوق جبينه يحميه.
حُلَلُ السناء تُرى على جنباته، * والنيل يرتجل الثنا من فيه. ١٠
لا زال "ربّ العرش" ترعى عينه * مُلكا له بنفوسنا نفديه.

محمود فؤاد الجبالى

✦✦✦

وأرسل الينا الكاتب المجيد والشاعر المبدع "محمود رمزى نظيم افندى" هذه الأبيات الرائقة: ١٥

يا خادم التاريخ جئتَ بآية، * من آيه، آثارها تتجدّدُ.
نسبوا "لنابليون" قلعتنا التى * قد شادها محيى البلاد "محمدُ"
فكشفتَ غامض أمرها بعبارة؛ * فيها بيانك يا "محمد" يُحمدُ.
فاكتب فإنك "أصمعىٌّ" زمانه، * وأعد لنا، من مجدنا، ما يُفقدُ.

«أبو الوفا» ٢٠

محمود رمزى نظيم

✦✦✦

وارسل إلينا حضرة الشاعر الأديب الشيخ "عبد الله ابراهيم حبيب" الموظف بدار الكتب المصرية هذه الأبيات الجزلة :

"يا أصمعىّ" أذعتَ رأيا صائبـا * وجلوتَ عن وجه الحقيقة غيْهبا.

وكشفتَ للتاريخ عن آثاره ، * لله درّك باحثـا ، ومنقّبـا!

ليست "لنابليون" بل هى قلعة ، * "لمحمد" والصدق أسمى مطلبا.

إنا ورثنـا المجـد عن آبائنـا ، * ونذود عن آثاره أن تسلبـا .

عبد الله ابراهيم حبيب

✦✦✦

§ هذا ماسطرته أقلام الكتّاب المعروفين ، وفاضت به قرائح الشعراء المعدودين ؛ مشفوعا بواجب الشكر لكل منهم ، لما خصّونا به من آيات التشجيع وكلمات التعضيد . مع تقديم اعتذارنا لمن تفضلوا علينا بكتاباتهم فى هـذا الصدد ، وضاق نطاق الكتاب عن نشره ؛ إذ ليس لدينا متّسع لتدوين كل ما كتب لا سيما وأنه خاصّ بإطرائنا ، ونحن نعتقد أن ما قمنا به : هو من الفروض الواجبة علينا نحو العلم والتاريخ ، إذ لا شكر على واجب .

§ وهنا نثبت جواب حضرة صاحب العزة الشيخ "محمد الخضرى بك" عن "قلعة نابليون" بحروفه قبل إظهار حقيقتها التاريخية ، كما أشرنا إلى ذلك فى أول مقدّمة الكتاب ، وتعليق بعض الصحف عليه ، ليظهر للقارئ مقدار اهتمام الشباب الناهض بهذه المسألة التاريخية ، وتلهّفهم إلى معرفة مشيدها ، خدمة للحقيقة وللتاريخ .

§ وإليك بيان ما كتبه :

قلعـــة نابليون
والأستاذ الخضرى[1]

تلقينا اليوم الخطاب التالى من حضرة الأستاذ الشيخ محمد الخضرى بك .

سيدى المحترم :

الســلام عليكم ورحمة الله ، وبعد ، فما كنت أدرى قبل اليوم أنّ من واجبات المدرّس أن يكون مستعدًا ليجيب كل من سأله على صفحة جريدة من الجرائد السيارة ، لو أنالتنى الحكومة أو الجامعة المصرية لقب : مفتى الآثار ، ما كان يلزمنى فى شرعة الأدب إلا أن أجيب من تفضل علىّ بكتاب يرسله إلىّ .

أما أن أقف مترقبا ما يكتب من الأسـئلة فى الجرائد وألزم بالردّ عليه ، و إلا أستهدفت للوم اللائمين ، ونقد الناقدين ، فهذا ما لم أعلمه فكيف وليس ارتباطى بالآثار المصرية الإسلامية إلا رابطة محب للاطلاع ، ميال إلى معرفة ما تركه لنا الأسلاف ، وأستعنت على ما أنا بصدده بأستاذ من لجنة الآثار العربية ، له القدح المعلى فى دقائقها الفنية .

سألنى سائل ! زعم أنه لفيف من الطلاب عن : " قلعة نابليون " ونشر سـؤاله على صفحة من جريدتكم الغرّاء ، فلم أر من الواجب علىّ ، لا رسميا ولا أدبيا ، أن أجيب على هـذا السؤال فسكتّ ، أفما كان من اللياقة عند ذلك أن يتركنى وشأنى ؟ ويفرض غاية ما يذهب إليه الفكر عند سكوت المسئول عن الجواب وهو جهـله به ، إنه لم يفعل ذلك ، ولكنه ألحّ وأستعمل شتى الاساليب : مرة فى جريدتكم ومرة فى غيرها ؛ أما لا يضيق صـدرى عن تحمل ما كتب : لوما أو عتابا أو شتمـا ، بل أسامح وأعفو ، ولكن الذى يؤلمنى أن تستعمل الجرائد التى هى لمصلحة الجمهور ، وسيلة لإيلام شخص لم يسئ إلى الجمهور .

إن كان يرضى هذا السائل ويريح ضميره أن أعلن له : "أنى أجهل نسبة هذه القلعة إلى من نسبت إليــه ، ولا أتحقق نسبتها إلى غيره ، فأنا أعلن له ذلك" فليسجله إن شاء ، وليتق الله ربه والسلام .

"محمد الخضرى"

الأفكار — لم نكن نظن يوما من الأيام ، أنّ سؤال العالم عما يخفى على الجمهور من المسائل العلمية إساءة له ، ولم نكن ندرى أيضا ، أن إجابة المدرّس على سؤال يلق عليه فى صحيفة من الصحف ، ينقص من واجباته شيئا . أما وقد أعرب الأستاذ عن رأيه فى هذا وذاك فليكفّ السائلون عن سؤاله ، وليقنعوا بمـا شاء التفضل به . ولكل رأيه ومذهبه .

---

(١) جريدة الأفكار : يوم الجمعة ٢٠ رجب سنة ١٣٣٥ هـ (١١ مايو سنة ١٩١٧ م) .

قلعـــة نابليون

ورد الأستاذ الحصري[1]

أجاب الأســـتاذ الحصري بعـــد صمت طويل على السؤال الذي رفعه اليه ، فريق من طلبة العلم الذين يتتبعون المباحث التاريخية ، ولو ورد هذا الجواب في إبانه ، لأسترحنا وأستراح الأستاذ وأستراح القلم ، ولم يحتج الأستاذ إذ ذاك إلا لكلمة واحدة ، وهي : "لا أدري" ولكن السائلين أضطروا إلى الإلحاح حين تأوّلوا صمته ، ولم يعلموا مراده من السكوت ؛ لأنهـــم لو قدّروا جهـــله بالجواب : لعدّ ذلك ورحـــا بالغيب ، وضربا من التكهن ، وأضطر هو بعد حين إلى الإجابة بخطاب توهم وأوهم فيه ، أن جميع ما نشر في المسألة ، صادر عن واحد أسند لطائفة من الكتّاب ما لم يكتبوه ، "إن بعض الظن إثم" .

إن ما كتب في المسألة ليس كما توهم الأستاذ ، سطور سطرها قلم واحد ، بل هو موضوع تناولته أقلام الكتّاب لمعرفة الحقيقة عن أثر موجود بالقاهرة :

على رأس "المقطم" لاح برهو * دعائمـــه هنـــاك بهـــا أنتظام

و بينهم من لا يعرف الأســـتاذ فيتحاملون عليـــه كما ظن ، ولا يسلس قياد وجدانهم لذلك الفرد الذي توهمه الشيخ .

وقال الأستاذ : إن السؤال باعثه بواسطة الجرائد ، وإن الأسئلة التي ترد في صحف الأخبار ، لا يلزم المسئول الجواب عليها في شرعة الأدب ، كأنما بالشيخ لا يعلم أن الصحف اليوميـــة أصبحت في عالم العلم ، ودولة الأدب ، من الرسل والرسائل بين الكتّاب والأدباء والمحبين للإفادة ، ولا سيما إذا بعدت الشقة ، ونأت المسافة . وهذه مطارحة "شوقي بك" مع نظرائه الذين لا يزالون يحاورونه حتى اليوم على صفحات الجرائد .

واذا كان الاستاذ يعلم أن الجرائد جعلت لمصلحة الجمهور ، فإن السؤال عن المجهولات — ولا سيمـــا العلمية — هي من أهم مصالحه .

أما إشارة الأستاذ في آخر جوابه إلى ما يفيد ، أن السائلين يقصدون بسؤالهم توقّع إقرار الشيخ بجهله ، فهذا مما لا يجرؤون عليه ، فضلا عن أنه يرضيهم ، ليسألوا غيره من فحول المؤرخين الذين لهم باع طويل في البحث والتنقيب . فليحسن الظنّ الأستاذ بالناس ، فإنّ حسن الظنّ من التقوى التي أمرنا بها في آخر جوابه ، ونرجو ممن لهم أطلاع واسع في التاريخ إن علموا شيئا عن هـــذه القلعة ، فليفيدونا بمـــا يعلمون ، ولسلفهم شـــكرا والسلام .

«بعضهم»

---

[1] جريدة الافكار : يوم الاربعاء ٢٥ رجب سنة ١٣٣٥ هـ (١٦ مايو سنة ١٩١٧م) .

حول قلعة نابليون[1]

نشرت جريدة الثمرات الصادرة فى يوم الثلاثاء الماضى ، فصلا عن "الشيخ الخضرى بك" ، والسؤال الذى وجهه اليه الطلبة عن "قلعة نابليون" جاء فى آخره :

وهل يليق بالأستاذ الخضرى بك أن يسكت مدّة خمسين يوما على هذا السؤال؟ بدون أن يحرّك ساكنا ، ويقف هذا الموقف الحرج ، أمام طلبة العلم الذين طالما توجهوا لرؤية هذه القلعة . أما كان الأولى له أن يريح البال ، ويزيل الشك والإشكال الذى خالج هؤلاء الطلبة ، حتى لا يدعهم يتحدّثون بعجزه فيما بينهم ؟

ولو رجع إلى الحقيقة ، وآب إلى الصواب ، لعلم أن إهماله فى الردّ وتقصيره عن الجواب ، لا يرضاه منصف بأى حال من الأحوال . ولعل ما دعاه إلى هذا السكوت لم يكن إلا عجزه عن الجواب ، وكيف يجيب "بلا أدرى" ؟ وهو يرى أنه المؤرّخ الكبير ، والباحث الجليل ، ولا يوجد سواه عليم بتاريخ مصر ، وهو بآثارها خبير بصير ! . ولو كان الأستاذ من الباحثين المحققين ، لظهر أثر بحثه واستدلاله فى محاضراته التاريخية التى يلقيها الآن بالجامعة المصرية ، إذ السامع لها ، والمطلع عليها ، لا يرى إلا أنها محاضرات مبتورة منقولة من هنا ومن هنا ، من كتب التاريخ السهلة التناول ، وليس عليها من طلاوة الاستنتاج ، أو النقد ، أو الترتيب ، ما يجعل الإنسان يقبل عليها ، أو يهش لها ، بل هى عبارة عن سرد قصص ، ووقائع تعوّد القارئ مطالعتها من قبل فى المقريزى والسيوطىّ وابن إياس وغيرهم ، من مؤرّخى مصر ، الذين ينقل عنهم الأستاذ بدون درس ، أو فحص ، أو إبداء رأى ، أو استنتاج نتيجة . وإن كنا نعذر الأستاذ ، فإنه لم يكن يعرف عنه إلا أنه فقيه فقط . إلا أنه كان يجب على الأستاذ ، ألا يتصدّى لتدريس التاريخ فى معهد عظيم كالجامعة المصرية التى ينظر إليها العالم العربىّ المتحضر ، نظرة المنتقد البصير . فإنّ أمثال هذه المحاضرات ، إذا اطلع عليها علماء أوروبا المستشرقون ، لا يسعهم إلا الاستغراق فى الضحك ، وأن يحكموا بأنّ معارفنا ضئيلة جدًا ، مع أننا — والحمد لله — أصبحنا فى درجة تسر فى هذا العصر ، فى مضمار المعارف والعلوم ولهذا قد نعى أحد شعراء العصر : حال الجامعة وأستاذ التاريخ بها ، فقال[2] :

من لم ير الدمن الدوا ✽ رس ، فليقف بالجامعه ،
فهى الطلول ، تظل عين ✽ ى فى ثراها دامعه .

---

(١) نقلا عن الكشكول : يوم الجمعة ٢٠ رجب سنة ١٣٣٥ هـ (١١ مايو سنة ١٩١٧ م)

(٢) نشرنا هذه الأبيات كما وردت فى صحيفتى الثمرات والكشكول سنة ١٩١٧ م ، ونرى الآن ، أن الجامعة المصرية بلغت فى رقيها العلمىّ ، والأدبى : غاية تمنى لها المريد بفضل القائمين بأمرها ، حتى نراها تصارع أكبر الجامعات فى سائر الأقطار ، لاسيما وقد أدمجتها وزارة المعارف العمومية بالجامعة الأميرية .

قالوا : بها "الخضرى"؟ شمـ * ـس المعارف ساطعه !
ما بالها كسفت؟ وكا * نت قبل ذا فى الرائعه !
سمع السؤال، كأنما * وقعت عليه الواقعه .
يا أيها الأستاذ، صمـ * ـتك حجة، فى قاطعه :
أن ليس فينا عالم، * لكن ظواهر خادعه .

قلعـــة نابليون

والأستاذ الخضرى

ونشرت جريدة الكشكول بتاريخ يوم الجمعة ٢٧ رجب سنة ١٣٣٥ هـ (١٨ مايو سنة ١٩١٧ م) ما نصه :

نشرت جريدة الأفكار ردا " للشيخ الخضرى بك " وكيل مدرسة القضاء الشرعى تحت عنوان : **"قلعة نابليون والأستاذ الخضرى"** [تقدمت صورته] وقد علقت عليه بما يأتى :

... ...

هذا هو الرد الذى تفضل به "الخضرى بك" على سؤاله عن "قلعة نابليون" ، ونحن ننصف فضيلته كل الإنصاف فى أنه لم يكن قبل اليوم من واجبات المدرس ، أن يكون مستعدا ليجيب كل من يسأله على صفحة جريدة من الجرائد السيارة ، إذ المدرس كما يقول فضيلته : ليس ملزما لا رسميا ولا أدبيا ولا دينيا بأن يقرأ الجرائد ، حتى ولو كان من أولئك الذين يريدون أن يعرفوا بأنهم : "هواة علم" والذين يحملهم الطمع فى ذلك على أن يتأبطوا دائما الكتب ، حتى فى تنقلهم من قهوة إلى قهوة . قرأنا خطاب الخضرى بك فعرفنا أنه لم يقصد برده ، إلا إيلام الكتاب الذين لم يجدوا من اللياقة أن يتركوه وشأنه على سكونه . والظاهر أن فضيلة الشيخ ، من أولئك المعلمين الذين يفضلون أن تكون علاقتهم بتلاميذهم فى الأسئلة والأجوبة مباشرة و بالذات ، لا بواسطة الصحف ، و إلا فلماذا هو قد رد — وردّ فى نحو نهر من أنهر صحيفة الأفكار — دون أن يشير بكلمة إلى الجواب عن السؤال ؟ مع أن ذلك لا يكلفه أكثر من سطر أو سطرين ، ولماذا هو لا يرد إلا ليقول : "إن كان يرضى هذا السائل و يريح ضميره : أن أعلن له أنى أجهل نسبة هذه القلعة إلى من نسبت اليه ، ولا أتحقق نسبتها إلى غيره ، فأنا أعلن له ذلك فليسجله إن شاء ، وليتق الله ربه" مع أن واجب العالم أن لا يكتم علمه ، كما يجب على الشاهد أن لا يكتم شهادته اهـ .

خاتمـــة الكتاب

§ يتبيّن للقارئ من المستندات التاريخيـة التى أثبتناها، والأدلة الدامغـة التى سُقناها، والمكاتبات الرسمية التى ذكرناها ، والاستشهادات القاطعة التى سردناها : مقدار ما تكبّدناه من المشقة ، وهى تدل بأسطع برهان ، وأجلى بيان، على ما بذلناه من الجهد، ليكون الكتاب — بعونه تعالى — من الوجهة التاريخية : آية فى الكمال بقدر الإمكان — لاسيما ما تحلّى به من حُسن الطبع، و إتقان العمل — إذ رائدنا، وشعار خطتنا : الصدق فى القول، والإخلاص فى العمل، والتمسّك بعُرَى الثبات. ليعلم القارئ،أنه لا تُطمس حقيقة وراءها باحث ، كما لا يضيع حقٌّ وراءه مُطالب.

§ ولا يفوتنا فى هذه الخاتمة أن نكرر واجب الشكر لحضرة صاحب السموّ الأمير الجليل " عمر طوسون " للمستند التاريخىّ الهام الذى تفضل بإرساله إلينا، وأثبتناه فى صحف ١٨ و ١٩ و ٢٠ من هذا الكتاب ، وهو ما كتبه الرحالة الفرنسىّ المارشال "مارمون" عن هذه القلعة ، لأنه يعتبر شهادة تاريخية ثابتة ثبوتا حاسما فى أنها من عمل " محمد على " دون سواه . وكأنّ الأقدار أرسلت لنا هـذا الدليل الناطق،وذاك البرهان القاطع،لتأييد البحث الذى قضينا السنين الطوال فى تمحيصه، وسهرنا عليـه الليالى، ووفّيناه قسطه من التحقيق الدقيق، والاستدلال الصحيح، حتى وصلنا — بتوفيقه تعالى — إلى الغاية التى جاء قول المارشال " مارمون " مصدّقا لها، بما فيه من تمام الإقناع ونهاية اليقين .

§ و إنا نحمد الله،فقد كلّل مجهودنا بالنجاح،وتوّج عملنا بالفلاح،إذ سُجّلت القلعة باسم : " قلعة محمد على " وأصبحت من قلاع البـلاد الوطنية، المشـيّدة بأيد مصرية، وصارت لا تُعرف الآن إلا بهذا الاسم . ولا يسعنا بعد هذا إلا أن نختتم الكتاب كما بدأناه بقوله جلّ شأنه :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الحالة العسكرية فى أيام "محمد على"

§ لمناسبة علاقة قلعة "محمد على" بالحالة العسكرية فى أيامه : نزيد هذا البحث التاريخى معلومات تاريخية ممتعة ، بما نشره حضرة صاحب السمو الأمير الجليل "عمر طوسون" عن المدارس الحربية ، والمعامل العسكرية ، والجيش المصرى (البرى والبحرى) فى عهد جده العظيم الشأن : "محمد على" لأنه وثيقة تاريخية قيّمة ، وتحفة ثمينة من كنوز تاريخ مصر الحديث ، فى أيام محييها ومنشئها : "محمد على" يتبين منها للقارئ : مقدار اهتمامه — رحمه الله — بشؤون البلاد من الوجهة العسكرية ، كما كان مهتما بشؤونها من الوجهة العلمية والصناعية والزراعية . وقد دلّت الآثار الخالدة ، على أن مصر قد أدركت قسطا عظيما من التقدّم فى هذه العلوم علما وعملا فى أيامه السعيدة .

§ وقد استأذنا سموّه فى نشره بين دفّتىْ كتابنا هذا ، فسمح لنا — حفظه الله — بخطابه المرسل بتاريخ ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٣ م بنشره عن طيب نفس .

§ وإننا نختتم به هذا الكتاب — إتماما للفائدة ، وتعميما للنفع — وتنويها بشأنه ، وتخليدا لذكره ، واعترافا بقيمته الثمينة ، وحفظا لأثره الخالد . لتكون هذه الصفحة التاريخية القيّمة : خير مثال يُحتذَى ، وأقوم سبيل يُقتفَى ، وصورة لحقائق تُقتنَى . مع تقديم خالص آيات الثناء وفروض الإجلال لسموّه ، لخدمته الصادقة للعلم ، وعمله النافع على نشره . ولم يأل جهدا فى الأخذ بيد المشتغلين به وتشجيعهم : تنشيطا لهم ، وتقديرا لأعمالهم ، حتى نال أكبر فخر فى هذا السبيل العظيم .

§ قال حفظه الله :

حضرة صاحب السمو الأمير الجليل "عمر طوسون"



يا ٱبنَ الأُلَى فَتَح "الكِنانَة" سَيْفُهم * فأقرَّ أفئدةً بها وعُيونَا

مَن قال يا "عُمَرُ" فقد نادَى العُلا * ودعا كريما فى الخطوب مُعِينَا

يَبْنِي "جُدودُك" للبلاد "قلاعَها" * ونَراكَ تَبْنِي للعُلومِ "حُصونَا"

المدارس الحربية والمعامل العسكرية

فى عهد منقذ مصر ومحييها ساكن الجنان المغفور له " محمد على باشا "



§ كتبنا رسالتنا فى الجيش المصرى – البرى والبحرى – فى عهد "**محمد على**" وكان ذلك على أثر ما نشر فى بعض الجرائد من تنويهها بما كانت تملكه مصر فى ذلك الحين من القوة العسكرية التى صانت بها بيضتها، وذادت عن حياضها، وفتحت ما جاورها من الممالك . وقد اطلعنا أخيرا على بحث فى إحدى جرائدنا ايضا عن المدرسة الحربية الوحيدة التى تملكها مصر الآن، يراد به بيان ما هى عليه من القصور، وما يجب أن يكون فيها إذا أريد إصلاحها . فلفت ذلك نظرنا إلى ما كان لمصر فى عصر جدّنا الأعظم " **محمد على** " : من المدارس الحربيـة المتنوعة ، والمعامل

العسكرية المتعددة، ورأينا فى نشر ذلك على الجمهور المصرى : تذكيرا بأوليتهم، وتعريفا بماضيهم القريب، يجب أن يكونوا على بيّنة منه .

§ وهذا البحث الممتع : هو أساس لرسالتنا فى الجيش المصرى (البرى والبحرى) فى عهد " محمد على " : إذ لا يوجد جيش نظامى، إلا إذا سبقه فى الوجود : معاهد للتعليم العسكرى، ومعامل لصنع معدّاته وأدواته وذخائره . ٥

§ وقد ترجمنا هذه الفصول، من كتاب المسيو فيلكس مانجين (F. Mengin) قنصل فرنسا الجنرال بمصر فى عهد " محمد على " : لأنه أوفى ما كتب فى هذا الصدد . وهو كتاب مُشاهد رأى بعينيْ رأسه ما دوّنه، فهو من هذه الجهة : وثيقة تاريخية قيّمة، وتحفة ثمينة من كنوز تاريخ مصر الحديث فى أيام محييها ومنشئها " محمد على "، يجدر بأبناء الجيل الحاضر أن يدرسوها، ويحيطوا بها علما، حتى ١٠ يقفوا على سرّ تلك النهضة الفائقة التى رفعت مكانة مصر بين العالمين فى ذلك الحين، وجعلت الغربيين يرمقونها بعين الإكبار، ويدوّنون أخبارها باهتمام عظيم، فاق اهتمام بنيها أنفسهم .

§ ولعلّ القارئين لهذا الأثر، وفيه ما فيه : من ذكرى صالحة تستنهض الهمم الراقدة، يسترشدون بهذا الماضى المجيد فى حياة مصر الحاضرة والمستقبلة، ويجعلونه ١٥ نورا بين أيديهم .

***

قال مانجين (Mengin) فى كتابه :

" تاريخ مصر فى عهد محمد على " : المطبوع بباريس فى سنة ١٨٢٣ م

(Histoire de l'Egypte sous le gouvernement de Mohammed Ali I, II Paris 1823) ٢٠

المدارس الحربية والمعامل العسكرية

§ إذا أراد صاحب البلاد أن يكون لها جيش على النظام الحديث ، مؤلف من المشاة والفرسان والمدفعية ، فإن هذا الجيش يحتاج إلى مدارس تقوم بمهمّة تخريج الضباط اللازمين لمختلف هذه الأسلحة ، وإلى مستشفيات تعتنى بأفراده إذا مرضوا . ولا بدّ فضلا عن ذلك أن تكون له : إدارة حربية تشرف على هذا العمل العظيم ، إذ بدونها لا يتأتّى وجود جيش منتظم .

§ "فمحمد على" كان شغفًا بتمدُّن مصر ، وكان متشبعا بهذه الحقيقة ، فلم يهمل شيئا قط للوصول إلى غرضه ، لأنه أحضر من مختلف بلاد أوروبا أساتذة وأطباء وصيادلة ومعلمين ، شيّدوا فى أماكن آختيرت أحسن آختيار ، تلك المدارس والمستشفيات . وهذا العمل الكبير الذى هو وليد فكرة "محمد على" وحدها : آبتدأ الآهتمام به منذ عشر سنوات ، وظهرت نتائجه الباهرة الآن بعد ما آمتدّت يد الإصلاح إلى كل فرع من فروع التعليم ، وخطت المدارس كافة خطوات واسعة المدى ، فأتت بأحسن النتائج التى تسترعى نظر القارئ ، وسأتكلم فيما بعد عن هذه المعاهد النافعة بإسهاب .

§ عرف "محمد على" ، أن أساس تقدّم أوروبا لا سيما فرنسا التى كان يقلّدها فى كل شىء : إنما قام على بثّ روح التعليم فآهتمّ آهتماما عظيما ببثّ هذه الروح فى بلاده التى كان شغفًا بها ، وأنشأ مجلسا للمعارف مؤلفا من : رئيس وثلاثة أعضاء آصطفاهم من خير الرجال ، وقد أدّى هذا المجلس وظيفته ، وقام بواجبه بكل نشاط ، وكان يعقد جلساته كل يوم فى ذلك البناء المقام على أنقاض القصر الذى سكنه من قبل : القائد العظيم بونابرت (Bonaparte) وخلفاؤه فى حىّ الأزبكية ، "ومختار بك" ناظر المعارف والأشغال العمومية : هو الذى اختير رئيسا لهذا المجلس .

§ فأصبح في مصر، رهط عظيم من التلاميـذ، وُزِّع على كثير من الفصول، وكان بعضه يتلقّى اللغة الفرنسية، والبعض الآخر اللغة العربيـة، وآختص فصلان بدراسة اللغتين : التركية والفارسية ، وهذا المعهد ، عُيِّن له ناظر أخذ على عاتقه : حفظ النظام بين تلاميذه الذين كانوا كلهم داخلية .

٥ § وكان تحت إدارة مجلس المعـارف المذكور أيضا : مدرسة المدفعية بطره ، ومدرسة الفرسان بالجيزة، ومدرسة المشاة بدمياط ، وهذه الأخيرة وحدها : كان فيها مائتا تلميذ يتعلمون اللغتين : العربية والتركية، والرياضة، وكيفية آستعمال الأسلحة ؛ ثم مدرسة الطب البيطرى، وباقى المدارس الابتدائية المنتشرة فى أنحاء المديريات.

§ وكان المسيو "لينان" (Linant) رئيس مهندسى القناطر والجسور : يتلقّى ١٠ الأوامر من المجلس المشار اليه، ويحيل ما يلزم إحالته منها على التابعين له .

§ أما مدرسة الزراعة بنبروه، فكانت تحت إشراف مجلس المعارف المذكور، وكان فيهـا أربعة معلمين فرنسيين ، يعلمون أربعين تلميذا من أبنـاء الفلاحين : علم الفلاحة، ويطلعونهم على أساليب إصلاح الأرض وزرعها .

مدرسة الطب والمستشفى العسكرى والمجلس الصحى

١٥ § شيّد بين قريتى الخانقاه، وأبى زعبل، على الأوضاع والرسوم التى قام بتخطيطها الدكتور "كلوت بك" (Clot-Bey) رئيس أطباء الجيش : بناء هـذا المستشفى الجامع الذى أدّى وظيفته الأصلية بآستعداد تام من حيث معالجة المرضى، وكان فوق ذلك، مدرسة طب يتعلم فيها التلاميذ، ويطبقون العلم على العمل .

§ ويرى الزائر حول هذا المستشفى : حقلا جميلا ، زُرعت فيه العقاقير والنباتات ٢٠ الطبية، وحوى ما كان نادر الوجود جدا منها .

§ وفى مدرسة الطب التى به ثمانية من نوابغ المدرّسين يتلقّى عنهم التلاميذ : علوم التشريح والجراحة ، والأمراض الباطنيـة والظاهرية ، والطب الشرعى ، والطبيعة والكيمياء والنبات . وأربعة مدرّسين آخرين للغة الفرنسية، ومترجمان يقومان بترجمة ما يلزم لمدرسة الطب ومدرسة الصيدلة معا .

§ وبلغ عدد هؤلاء التلاميـذ : مائة وأربعين بمدرسـة الطب، سوى خمسين تلميذا آخرين يدرسون فن "الأقرباذين" فى قسم الصيدلة ، وفى نهاية كل سنة يمتحنون جميعا ليعرف مبلغ ما حصلوا عليه . ٥

§ وقد وسعت غرف المستشفى، سبعمائة وعشرين سريرا: وهى غرف نُسِّقت تنسيقا بديعا وتخللها الهواء الطلق وحلّت النظافة منها فى كل مكان حيث نيط بمدرّسى مدرسة الطب، ملاحظة خدمة المستشفى، فقاموا بذلك وبالتدريس فى آن واحد. ١٠

§ ودعت حاجة مدينة القاهرة ، إلى إقامة مستشفى آخر فى ميدان الأزبكية ، يسع ثلثمائة سرير لمرضى الرجال، ومائتين لمرضى الإناث ، وهو تابع للمستشفى الأوّل فى أبى زعبل، وفرع منه تنقل مرضاه إليه عند ما يكثر عددهم أو تكون أمراضهم خطرة . كما أنشئ مستشفى خاص بالولادة، له أساتذة وطلاب عديدون ، ومدرسة للقابلات تحت إدارة إحدى قابلات باريس المـاهرات . ١٥

***

§ وأما المجلس الصحى، فكان أعضاؤه أربعـة آختيروا من مشهورى الأطباء الذين فى خدمة الوالى، يرأسهم الدكتور "كلوت بك" (Clot-Bey) ووظيفة هذا المجلس الأولى : السهر على الصحة العمومية . ثم آختيار الأطبـاء والصيادلة للجيش بعد آمتحانهم، وعرض الناجحين منهم على ناظر الحربية . وكان الأمر كذلك فى نقلهم وترقيتهم بعد ما يتلقّون أوامر الناظر فى هذه الشؤون . ٢٠

مدرسة الطب البيطرى

§ وشيّد بالقرب من المستشفى الآنف الذكر: مستشفى جميل للخيل، كان أيضا مدرسة للطب البيطرى، أسسها : " م . هامونت " (Hamont) و بلغ تلاميذها مائة وعشرين طالبا يدرسون ، فيها البيطرة على أستاذين فرنسيين . وفى المبانى الملحقة بهذه المدرسة : أصطبلات كان يوجد بها عادة مائة حصان ، ثم نقلت المدرسة المذكورة إلى شبرا بعد ما شيّدت لها هناك : دار فسيحة ، ومحل لتربية الخيول والاعتناء بها ، حوى ثلاثين حصانا من فحول الخيل للنزوان [طلوقة] ، وستمائة وسبعين فرسا .

مدرسة المشاة بالخانقاه

§ أعدّت هذه المدرسة على أحدث نظام، يتعلم فيها أربعمائة شاب مصرى ، قُسّموا إلى ثلاث فرق (بلكات) . والعلوم التى تتلقّ فيها هى : التمرينات، والإدارة الحربية، واللغات : العربية والتركية والفارسية . وكان بها ضابط جراح للاعتناء بالجرحى والمرضى . وكانت أوّل ما أنشئت بمدينة دمياط ، ثم نقلت إلى الخانقاه .

مدرسة الفرسان بالجيزة

§ هذه المدرسة كانت فى نفس القصر الذى سكنه المملوك الحربى الشهير : "مراد بك" ، والذى قضى فيه "بونابرت" (Bonaparte) الليلة التالية لمعركة الأهرام . وهذا القصر يلى علينا ذكريات مجيدة، حتى أن الذين زاروا مصر فى هذا العهد لايزالون يعرفون هذا القصر، رغما عما أدخله الأتراك فيه من التغييرات . وقد أصبح الآن : ثكنة جميلة للفرسان، ومدرسة نظمها المسيو : "ڤارن" (Varin) الذى كان أركان حرب المارشال : " جوڤيون سانت سير" (Gouvion St-Cyr) .

وفى هذه المدرسة يتعلم مائتا جنـدى حديثو السن : مناورات الفرسان، فضـلا عن الحركات العسكرية وهم مشاة ، وكانوا يرتدون ملبسا مشابها تمام المشابهة لملبس الفرسان الفرنسيين فيما عدا القَلَنْسُوَة ، ولهم أساتذة يعلمونهم اللغتين: التركية والعربية ، وضباط لقيادتهم . ونظامها : هو نفس النظام المتبع فى مدرسـة "سومور" إلا بعض تغييرات طفيفة ٱستلزمتها الحالة المحليـة ، وفيها أيضا أساتذة : لتعليم اللغـة ٥ الفرنسية والرسم والمبارزة وترويض الخيل، ويتعلم فيها التلاميذ فوق ما مضى: ٱستعمال النفير وسائر آلات الموسيقى التى تستخدم فى فرق الفرسان . وهؤلاء التلاميذ : كانوا خليطا من المصريين والأتراك، وهم يتخرجون منها ضباطا لفرق السوارى، متعلمين ومدرّبين تدريبا حسنا . وكان لهذه المدرسة كبقية المعاهد الأخرى : ناظر مكلّف بالسهر على حفظ النظام بين مرءوسيه، وتوقيع الجزاءات، وتوزيع الغذاء والعلف. ١٠ ورئيسه المباشر : هو ناظر الحربية، لأنه كان من الرجال الحربيين .

مدرسة المدفعية بطره

§ أسس هذا المعهد المفيد : الكولونيل الأسبانى "دون آنطونيو دى سيجويرا" (Seguera)؛ وهو الذى أوحى إلى "إبراهيم باشا" : فكرة وجود مدرسة خاصـة بالمدفعية، لتخريج ضباط إخصائيين فى هذا السلاح، إذ قدّم منذ أربع سنوات : ١٥ مشروعا صادق على جميع محتوياته، فأسست المدرسة على مقتضاه منذ هذا الوقت، وٱنتخب لها ثلثمائة طالب من مدرسة قصر العينى الأبتدائية، يتعلمون فيها : مبادئ اللغات الفرنسية والإنكليزية والإيطالية، وكان يعطيهم الكولونيل "دى سيجويرا" نفسه : دروس الرياضة والرسم، عدا معلمين آخرين يعلمونهم ويدرّبونهم، على كيفية ٱستعمال المدافع ، فتقدّموا تقدّما سريعا فى العلوم النظرية والعمليـة ، وأظهر الذين ٢٠ أرسلوا منهم فى الجيش المغير على سوريا : نشاطا فائقا، ومهارة عظيمة، كما أظهرت

المدفعيتان : الثقيلة والخفيفة، مثل هذا النشاط والمعرفة التامة، خصوصا ضباطهما الذين كانوا على كفاءة، ودراية عظيمة بفنهم .

* * *

§ والوالى الذى كان لا يجهل فائدة مدرسة طره المدفعية : أراد أن يرى بعينَىّ رأسه نتائجها، فزارها، ثم أبدى سروره وآرتياحه من أساتذتها ونظامها ومعـدّاتها، وأظهر ذلك الآرتياح بإنعامه فى نفس يوم الزيارة، على الكولونيل "دى سيجويرا" برتبة البكوية وترقيته إلى رتبة جنرال .

§ وكان يوجد بالقرب من هـذه المدرسة فى حظيرة "بِطُرَه" : أربع وعشرون بطارية مدفعية، وفى هذه المدرسة : مستشفى خاص، يديره أحد الأطباء، ويساعده فى ذلك صيدلى لأجل معالجة المرضى .

مدرسة الموسيقى فى الخانقاه

§ أراد "محمد على" أن يكون نظام جيشه كنظام الجيوش الأوروبية؛ فأمر أن يكون لكل آلاى من الجيش : موسيقى، وكلّف مندوبيه بفرنسا، أن يستحضروا آلاتهـا وينتخبوا معلميها، وقد كان ذلك . وقام هؤلاء المعلمون بتعليم هـذا الفنّ للمصريين فى زمن وجيز، حتى إن المهارة التى كان يُوَقِّع بها الفلاحون المصريون : النغمات الموسـيقية على النوتات : أدهشت جميع الفنيين، وخصوصا الأجانب من جميع الجنسـيات الذين كانت تجذبهم إلى شواطئ النيـل : شهرة "محمد على" فكانوا يأتون أفواجا لزيارتها، حتى أصبحت هَدَفا لأنظار أوروبا . لذلك أُسِّس فى الخانقاه : معهد للموسيقى، جمع مائة وثلاثين تلميذا تحت نظر المسيو "كاريه" (Carré) وقام بتدريس هذا الفنّ فيه : أربعة معلمين، دفعتين فى اليوم، وبتعليم

اللغة العربية : معلمون آخرون ، و إذا آحتاجت ألايات المشاة لأنفار موسيقيين : أمر ناظر الحربيــة فعمل آمتحان لهؤلاء التلاميــذ ، ومن كان منهم أكثر معرفة ، فُضِّل على غيره ، وألحق بالفرق التى هى فى آحتياج للوسيقيين .

مدرسة قصر العينى الأميرية

§ هذا البناء الواسع المشيد على شاطئ النيل بين القاهرة والفُسطاط ، كان بادئ بدء محــل نزهة ولهو ، ثم حوَّله الفرنسـيون إلى مستشفى ذى حصون ، وفى إحدى قلاعه وضعت رفات القائد الشهير "كليبر" (Kléber) . ثم غيّر الترك وضــع هذا البناء وحوّلوه إلى تكنة للفرسان ، و بعــد ذلك أضاف إليــه "محمدعلى" : مبانى جديدة جعلته أكبر مما كان . وفيه الآن ثمانمائة طالب تتراوح أعمارهم : بين عشر سنين ، وخمس عشرة سنة ، ينتسبون إلى أُسَر تركية ومصرية ، وقد آختير لهم «معلمون» للغات : العربية والتركية والفارسية . وهذه المدرسة إعدادية ، تؤهل طلبتها للآلتحاق بمدارس الطب والمشاة والفرسان والبحرية . وفيها مكتبة تحتوى على خمسة عشر ألف مجلد ، لمؤلفين فرنسيين و إيطاليين .

معامل القلعة وتوابعها

§ منذ عشر سنوات ، كانت هذه المعامل شيئا لا يذكر ، ولكنها الآن : مُتّسعة الأرجاء ، وأقسامها الواسعة تشغل جزءا عظيما من القلعة ، يمتدّ من قصر "صلاح الدين" القديم ، إلى باب الآنكشارية الذى يطلّ على ميدان الرميلة [ميدان صلاح الدين الآن] وهى تحت إدارة قائد المدفعية : "أدهم بك" . و يشتغل فيها تسعمائة صانع فى معامل الأسلحة ، يصنعون فى الشهر من ستمائة إلى ستمائة وخمسين بندقية ، والبندقية الواحدة تتكلف آثنى عشر قرشا . ولرؤساء الصــناع مُرَتّبات ثابتة ، وللعمال أجر يوميــة .

§وفى مصنع خاصّ ، تصنع زناد بنادق المشاة، وسيوف الفرسان ورماحهم .
وفى معامل أخرى، تصنع النيازك [المواشيك] والسيوف، وكل ما يتعلق بمعدّات
المشاة والفرسان، وكذلك اللُّجُم والسروج وملحقاتها . وصناديق المفرقعات ومواسير
البنادق : تشغل مكانا متسعا جدا . أما أهم هذه المعامل، فهو معمل صبّ المدافع
الذى يستدعى بذل مجهول كبير وانتباه أكبر، ويصنع فيه من ثلاثة مدافع إلى أربعة ٥
من عيار أربعة، وثمانية أرطال فى كل شهر، وفى بعض الأحيان يصبّ فيه :
مدافع الهاون ، ذات الثمانية البوصات، ومدافع من هذا النوع يبلغ قطرها
أربعا وعشرين بوصه . وعماله لا يقلّون عن ألف وستمائة عامل، يستهلكون كمية
عظيمة من الحديد والفحم، ولا غرابة فى ذلك، فكل وال له جيش عرمرم ،
ومدفعية جسيمة؛ يجب أن يكون له معامل كهذه ، فيها كل ما يلزم لتموين تلك ١٠
القوّات .

معمل البنادق فى الحوض المرصود

§ تأسيس هذا المعمل كان عقب تأسيس معامل القلعة، وفى حوالى آخر سنة ١٨٣١م
شرع فى جمع العمال له، وأعدّ للعمل، وقد كان قبل هذا التاريخ، فيه أنوال للنسج.

§ وألقيت عهدة النظام فيه على عاتق المسيو : "مارنجو" (Marengo) المولود ١٥
فى مدينة جنوة، والمعروف منذ بضع سنين باسم "على افندى" والذى اكتسب
معلومات وتجارب قيّمة فى أثناء خدمته بمعامل القلعة تحت إمرة القائد : "أدهم بك"
فاشتغل بهمّة وثبات، وتخرج على يديه : صناع ماهرون فى أنواع صنعة البنادق
من جميع الأحجام، وبلغت طوائف العمال فى هذا المعمل ألفا ومائتى شخص، ما بين
عامل، ورئيس عمال، وصبيّ . وهم يصنعون فى الشهر نحو التسعمائة بندقية، منها ٢٠

ثلثمائة إنكليزية دون مواسيرها، والبنادق المصنوعة فى هذا المعمل للشاة النظاميين، والفرسان ورجال المدفعية، على نفس النموذج المستعمل فى الجيش الفرنسى، ومتوسط ما تتكلفه البندقية أربعون قرشا .

§ وكانت تعمل تجربة للدافع فى كل أسبوع ، عند ما يكون الحديد المصنوعة منه من نوع غير جيّد، شبيه بما يستعمل الآن، فتكون النتيجة : أن يلق خمس عدد ٥
هـذه المدافع، ويترك فى زوايا الإهمال، لأنه لم يحتمل التجربة، وإذا كان الحديد من النوع الجيّد، الواجب استعماله فى هذا العمل الخطير، لا تتجاوز الكية الملقاة منه : السدس .

§ أما البنادق، فكانت تصنع صنعا جيّدا على العموم، ولأجل معرفة عيوبها بدقة : يجب أن يكون الإنسان ذا دراية تامة بكل ما يتعلق بصناعة هذه الأسلحة، ١٠
والعيوب تأتى من نوع الحديد، وليست من عدم مهارة العامل على الأرجح .

مسبك الحديد

§ مسبك بولاق : بناء شُيِّد تشييدا فخما، وله منظر جميل يَنِمّ عما يؤدّيه من الخدم العظيمة ، والبناء وحده بلغت قيمته : مليونا ونصفا من الفرنكات ، وواضع رسمه هو : المسيو "جلويه" (Galloway) المهندس الميكانيكى الذى فى خدمة الوالى، ١٠
وقد وضعه على نموذج مسبك لوندرة ، والمكلف بإدارته رئيس إنكليزى معه خمسة من الإنكليز، وثلاثة مالطيون رؤساء أعمال . وفيه أربعون تلميذا مصريا ، موزّعون على جميع أقسام المسـبك، وفوق ذلك عين له ناظر مكلف بضبط حسابه ومسـك دفاتره، يعاونه كاتبان قبطيان فى ذلك، وهو يراقب أيضا نظام جميع فروع المسبك، ورئيسه المباشر : القائد "أدهم بك" مدير معامل القلعة، وهذا الناظر برتبة ضابط . ٢٠

ويُصَبّ فى هذا المسبك كل يوم: خمسون قنطارا من الحديد المعد لصابورة المراكب والآلات التى تصنع فى المعامل، وهذه العملية تستلزم خمسين قنطارا من الفحم الحجرى . وتبلغ مصاريف المسبك : عشرة آلاف قرش إلى أحد عشر ألف قرش فى الشهر، عدا ثمن المهمّات .

معمل البارود وملح البارود

§ أقيم بناء هذا المعمل ، بالمقياس فى طرق جزيرة الروضة فى مكان فسيح، ومناسب لبعده عن جميع المبانى الآهلة بالسكان . ومديره هو : المسيو "مارتيل" (Martel) الذى كان مستخدما فى معمل البارود بمدينة : "سانت شماس" ومشتغل تحت إدارته : تسعون عاملا موزّعون على أقسامه الكثيرة . ومن بين هؤلاء العمال : ثمانية عشر عاملا ، يخلطون الكبريت والفحم وملح البارود، وواحد وعشرون عاملا يقلبون البارود فى الطواحين، وهى عشرة طواحين : لكل واحدة منها عشرون موقدا، وتحترك بعشرة آلات تدور بواسطة البغال التى يسوقها عشرة رجال . ويصنع فى اليوم فى هذا المعمل : خمسة وثلاثون قنطارا من الرش، على يد أربعين عاملا مكلفين بهذه العملية. وطريقة صنع البارود فى مصر : هى طريقة التبخير كما أوضحنا ذلك بالجزء الثانى من كتابنا ، وهذه الطريقة اقتصادية أكثر من طريقة النار . وقد كثر صنع البارود بمصر بإنشاء كثير من المعامل التى تصنع ملح البارود . وإننا نذكر أسماءها بالتوالى على حسب الناتج من كل منها سنة ١٨٣٣ م :

	قنطار		قنطار
معمل القاهرة	٩٦٢١	معمل الفيوم	١٢٧٩
« البدرشين	١٦٨٩	« أهناس	١٢٥٠
« الأشمونين	١٥٣٣	« الطرانة	٤١٢

تحريرا فى ١٩ نوفبر سنة ١٩٢٣ م "عمر طوسون"

الجيش المصرى البرى والبحرى فى عهد محمد على

§ راقنى ما قرأته أخيرا عن الجيش المصرى — البرى والبحرى — فى بعض الجرائد، أيام حكم جدنا الأعظم : "محمد على" فراجعت ما كتبه فى ذلك الوقت : "مانجين" (Mengin) قنصل جنرال فرنسا، و"كلوت بك" (Clot-Bey) مدير الصحة العمومية ورئيس أطباء الجيش المصرى . ثم ما كتبه حضرة صاحب السعادة "اسماعيل سرهنك باشا" عن البحرية المصرية فى ذلك العهد فى كتابه "حقائق الأخبار عن دول البحار" وإن الشعور الذى تملكنى عقب ذلك، كان شعورا ممتزجا بالأسى على الماضى، والأمل فى المستقبل . فأحببت أن يشاركنى بنو وطنى فى الأثر الذى تركته هذه الذكرى التاريخية فى نفسى، ورأيت فى نشر ذلك فائدة، وأىّ فائدة لجيلنا الحاضر !

§ إذ ليس أنفع لشحذ العزائم وحفز الهمم إلى العمل، من هذه الذكريات لشعب له ماض حميد، ولا أضرّ له من ترك عنا كب النسيان تنسج عليها حجب الظلمة والغفلة ! .

§ لذلك ترى اعظم الشعوب : أكثرها عناية بإحياء تلك الذكريات، والإكبار منها . وبالعكس ترى الأمم المتبربرة، قد أنمحت من حياتها هذه الذكريات : أنمحاء يجعل ما تعيش فيه من الظلمة، حالك السواد .

§ وإنى أحثّ كتّابنا وعلماءنا على الإكثار من إثارة دفائن تاريخنا، والكشف عن كنوزه، حتى يكون لنا منها : أمثلة مضروبة للحياة العالية، تحتذيها الأجيال الحاضرة، وتنسج على منوالها .

§ وإذا كانت الجيوش للأمم : هى السياج الذى يحوطها، ويدرأ عنها، أدركنا قيمة ما تخلفه هذه الذكرى الطيبة من الأثر النافع .

وإليك ما كتبه " مانجين " و " كلوت " :

محمد على باشا

§ ادرك " محمد على باشا " بمجرد ما آستلم زمام حكومة مصر ، أنه لا بدّ من إدخال النظام الحديث فى القوة العسكرية (البرية والبحرية) لكل حكومة تريد أن تكون مقاليد البلاد فى قبضة يدها ، حتى تتمكن من إدارة شؤونها على محور النظام ، وتعمل على حفظ حَوْزتها من الغارات الخارجية .

§ ولعلّ الذى لفت نظره لما فى النظام العسكرى الحديث من التفوّق : ما شاهده بنفسه من آنكسار الجيوش العثمانيــة التى كانت تحت قيادة الصدر الأعظم : " مصطفى باشا " فى واقعة " أبى قير " أمام الجيش الفرنسى بقيادة : " بونابرت " (Bonaparte) لذلك لم يلبث أن طلب من فرنسا معلما عسكريا لجيش ينشئه على النظم الحديثة ، فانتخبت له الكولونيل : " سيف " (Sèves) الذى أسلم ، وعرف فيما بعــد باسم : "سليمان باشا " وكان وصوله إلى مصر سنة ١٨١٩ م . وفى السنة التالية : وجّهه " محمد على " مع خمسمائة من مماليكه إلى أسوان ليدرّبهم هناك على الطريقة الحديثــة فى آستعمال الأسلحة ، والنظام العسكرى ، فاضطر عظماء مصر أن يحــذوا حذو الوالى ويرسلوا بمماليكهم إليه ليدرّبهــم أيضا ، فأصبح عدد الموفدين للتدرّب على يديه فى أسوان : ألفا .

§ وهؤلاء كان من المنتظر أن يكونوا نَوَاة الجيش النظامى فى مصر ، وإن كان من الصعوبة بمكان عظيم ، تدرّبهم على ذلك النظام .

§ وإنمـا جعلت أسوان المركز العام للتعليم الجديد ، وآختــيرت لهذه المهمة : لخلوّها من الملاهى التى تشغل الشباب ، وبُعدها عن الأنظار المتجهة إلى عمل الوالى ،

فيتفرّغ هؤلاء الذين وضع المستقبل بين أيديهم : للهمّة التى وُجِّهوا لها ، وتكون هذه التجربة السرية ، بمنجاة من شماتة الأعداء إذا هى أخفقت .

§ لذلك شيّد هناك : أربع ثكنات كبيرة ، لتكون مأوى لهؤلاء التلاميذ ، ومدرسة يتلقّون فيها مبادئ العسكرية الجديدة فى آن واحد .

§ وبمجرد ما تكونت هذه النشأة العسكرية ، اتجهت أنظار الوالى : إلى تأليف الجيش النظامى ، وكان كلما فكّر أن يكون هذا الجيش من الأتراك أو الأرناؤد ، اعترض له ما صدر من هؤلاء من الثورة ، ضدّ النظام العسكرى مرارا ، فرأى أن يؤلف الجيش الجديد من جنس آخر ، غير أنه بقى متردّدا فى تعيين هذا الجنس ، وكان يرى اختيار المصريين لهذا الأمر : مخاطرة كبيرة ، فعمد إلى الوسيلة الأخيرة التى لم يكن أمامه غيرها ، ألا وهى : تأليف الجيش من أهل السودان ، فجلب منهم : ثلاثين ألفا إلى منفلوط [الواقعة فى صعيد مصر على الشاطئ الأيسر للنيل] وفى الوقت الذى وصلوا فيه إليها ، غادر المماليك المدربون بأسوان هذه المدينة إلى منفلوط أيضا ، ومع ما بذله الباشا من هذه الجهود العظيمة لم تتوج هذه التجارب كلها : بالنجاح التام ، فقد فشا المَوَتان فى السودانيين ، فهلك الألوف منهم لعدم ملاءمة طقس البلاد لهم من جهة ، وضعفهم عن تحمّل مشاقّ الخدمة العسكرية من جهة أخرى .

§ غير أن هذا الإخفاق لم يكن ليرجع "محمد على" عن عزيمته ، بل ازدادت هذه العزيمة رسوخا فى نفسه ، وحاول مرة أخرى إخراج هذا الجيش المنظّم الذى رأى أنه فى أشدّ الحاجة اليه : إلى حيّز الوجود ، فعمد إلى المخاطرة التى كان يتهيّبها من قبل ، وأنفذ بجسارة الفكرة التى كانت تخامره ولا يجرؤ عليها ، فأصدر أمره بجمع أنفار الجيش الجديد من المصريين ، ولكن هؤلاء اعتبروا هذا الأمر خَطْبا جَلَلا ،



ضباط جنود محمد على النظامية يقسمون يمين الطاعة على العلم . وكان من عادتهم أنهم متى أتموا يمين الطاعة ذبحوا كبشا إعظاما و إجلالا لهذه اليمين .
نقلا عن تاريخ مصر من الفتح العربى إلى " محمد على " فى مجموعة :
Egypte depuis la conquête des Arabes jusqu'a la domination française par M. J. Marcel de l'Institut

فثارت خواطرهم لمجرّد سماعه ، وتمردوا بعض التمرد ، إلا أن تمردهم قُمع قبل استفحاله ، ولم تمر عليهم مدّة طويلة ، حتى مالوا إلى المعيشة العسكرية ، لما لقوْا فيها من رَغْد فى المأكل ، وجمال فى الملبس لم يكونا فى حُسبانهم من قبل ، وآنتهى بهم الأمر إلى أن يعتادوا الخدمة العسكرية التى لم يمارسوها قط .

٥

*
* *

§ وفى يناير سنة ١٨٢٣ م ، تمّ تكوين ستة آلايات ، وأصبح المماليك الذين تدرّبوا فى أسوان على النظام : ضباطا لهذه الآلايات الستة الأولى ، ومرّت سنة ١٨٢٣ م كلها وجزء من سنة ١٨٢٤ م لغاية شهر يونيه فى إتمام تعليم تلك الآلايات ، وعلى أثر ذلك أمروا بالنزول إلى القاهرة ، فأرسل "محمد على" الآلاى الأوّل : إلى "بلاد العرب" ، والثانى : إلى "سنار" ، والأربعة الأخر : إلى "موره" من بلاد اليونان بقيادة آبنه : "ابراهيم باشا" .

١٠

§ ثم تتابع تشكيل الجيش الجديد ، ولما آكتسب بعض النظام ، آستدعى له من فرنسا الجنرال : "بوير" (Boyer) والكولونيل : "جودين" (Godin) وغيرهما من الضباط العظام ، فتسابق الجميع إلى بذل آخر ما عندهم من جهد ومعرفة ، لهذا العمل الجليل .

§ وهذا بيان قوة الجيش النظامى المصرى وتوزيعه فى سنة ١٨٣٧ م :

*

بيان قوة الجيش النظامى المصرى وتوزيعه فى سنة ١٨٣٧ م :

رقم الألاى	المركز	القطر	قوة الألاى	رقم الألاى	المركز	القطر	قوة الألاى
			المشـاة				
١ حرس	عينتاب	سورية	٣٠٤٨	١٧	أورفه	سورية	٢٣٦٩
٢ «	مرعش	»	٢٦٤٥	١٨	عكاء	»	٢٠٤٩
٣	حلب	»	٢٤٣٥	١٩	الحجاز	جزيرة العرب	٢٣٤٩
١	سنار	السودان	٤٥٤٧	٢٠	اليمن	»	٢٦٧٧
٢	عينتاب	سورية	٢٢٥١	٢١	الحجاز	»	٢٣٦٣
٣	اليمن	جزيرة العرب	١٥٢٦	٢٢	أورفه	سورية	٢٢١٢
٤	مرعش	سورية	٢٥٩٣	٢٣	ينبع	جزيرة العرب	٢٣٤٢
٥	أدنه	»	٢٦٢٩	٢٤	أنتيوش	سورية	٣١٣١
٦	كبليس	»	٢٣٦٢	٢٥	القدس	»	١٧٥٥
٧	الحجاز	جزيرة العرب	٢١٩٢	٢٦	القاهرة	مصر	٣٣١٨
٨	سنار	السودان	٣٣٩٦	٢٧	الجديدة	»	٢١٢٩
٩	حلب	سورية	٢٣٠٤	٢٨	»	»	٢٤٤٦
١٠	»	»	٢٠٥٤	٢٩	أدنه	سورية	٣١٧٢
١١	أورفه	»	٢٣٣٨	٣٠	حماه	»	٢٩٢٥
١٢	عينتاب	»	٢٣٢٦	٣١	حلب	»	٢٤٠١
١٣	الحجاز	جزيرة العرب	١٢٢٥	٣٢	القاهرة	مصر	٣٣١٨
١٤	حلب	سورية	١٩٨٨	٣٣	اسكندرية	»	٢٦٠٤
١٥	الدرعية	جزيرة العرب	٢٥٥٥	٣٤	كبليس	سورية	٢٥٦٤
١٦	كنديه	جزيرة كريد	٣١٤٩	٣٥	القاهرة	مصر	٣٣١٢

(تابع) بيان قوة الجيش النظامى المصرى وتوزيعه سنة ١٨٣٧ م :

رقم الألاى	المركز	القطر	قوة الألاى	رقم الالاى	المركز	القطر	قوة الألاى
الفرسان							
١ حرس	انطاكيه	سورية	٧٩٦	٧	طرسوس	سورية	٧٤٢
٢ »	البسام	»	٨٤٤	٨	دمشق	»	٧١٢
١	أورفه	»	٨٢٥	٩	اسكندرية	مصر	٨١٦
٢	زنبه	»	٨٣٠	١٠	عكاء	سورية	٧٦٨
٣	القاهرة	مصر	٨٤٧				
٤	أدنه	سورية	٦٧٨	١١	كليس	»	٧٥٦
٥	القاهرة	مصر	٨٣٢	١٢	طرسوس	»	٦٦٢
٦	دمشق	سورية	٧٧٠	١٣	أورفه	»	٨٠٦
المدفعية							
١ حرس	حماة	سورية	١٣٧٢	٢	دمشق	سورية	١٠٠٧
٢ »	اسكندرية	مصر	٢٣٤٩	٣	القاهرة	مصر	٣٢٢٥
٣	حلب	سورية	١٩٤٩	— أورطه	الحجاز	جزيرة العرب	٣٧٩
١	حمص	»	٩٨٢	٤ بلوكات	عكاء	سورية	٣٣٧
المهندسون							
١	عكاء	سورية	٨١٢	— أورطه	اسكندرية	مصر	٨٠٨
— أورطه	ادليب	»	٧٥٨	— »	القاهرة	»	٥٦٤

مجموع قوة الجيش النظامى المصرى سنة ١٨٣٧ م :

	عدد		عدد
المشاة	٩٦٩٩٩	المدفعية	١١٦٠٠
الفرسان	١١٦٨٤	المهندسون	٢٤٩٢

وهذا بيان توزيع الجيش المصرى على الأقطار :

	عـدد		عـدد
مصر	٢٦٥٦٨	السودان	٧٩٤٣
سورية	٦٧٩٥٧	جزيرة كريد	٣١٤٩
جزيرة العرب	١٧٦٠٨		

النفقات

بيان النفقات التى صرفت على هذا الجيش فى سنة ١٨٣٧ م :

٧٥٤٦٠٤ ... ... جنيهات مصرية .

بيـان ماخص الجندى الواحد فى النفقات :

١٢٣٢٢٥ عدد الجنود على ٧٥٤٦٠٤ جنيهات : قيمة النفقات، يخص الجندى ٦ جنيهات و ١٢٤ مليما .

§ وعدا هذه القوة النظامية، فقد كان يوجد قوة غير نظامية مشكّلة من الباشبوزق والعربان موزّعين حسب الآتى :

	عـدد		عـدد
مصر	٨٥١٩	السودان	٣٥٨٦
جزيرة العرب	١٥١٩٦	جزيرة كريد	٣١٣٥
سورية	١١٠٣٥		

نفقات هذه القوة

أما المصاريف التى كانت تصرف على هذا الجيش فكانت كما يأتى :

٥٦٣٩٧ ... ... جنيها

بيان ما خصّ كل جندى من هذه القوة غير النظامية فى النفقات :

٤١٤٧١ عدد الجنود على ٥٦٣٩٧ جنيها قيمة النفقات، يخص الجندىّ الواحد جنيه و ٣٦٠ مليما .



معسكر جنود محمد على النظامية فى الإسكندرية . نقلا عن تاريخ مصر من الفتح العربى إلى "محمد على" فى مجموعة :

Egypte depuis la conquête des Arabes jusqu'a la dominaton française par M. J. Marcel de l'Institut d' Egypte. Sous la domination de Méhémet Aly par M. M. P. et H. Paris 1877.

القوى البحرية المصرية فى عهد محمد على

§ وإليك ما كتبه حضرة صاحب السعادة "اسماعيل سرهنك باشا" قال : بعد أن بارحت الجنود المصرية، بلاد "موره" أخذ "محمد على باشا" يهتم فى إتمام ما كان شرع فيه من الإصلاحات، وكان من أول أعماله : الشروع فى توسيع وإصلاح ميناء الإسكندرية، لقلة عمقها، وعدم كفايتها للسفن التى تضطر أن ترسو بعيدة عن الشاطئ، مما يجعل شحن وإخراج البضائع منها، يتكلف مصاريف كثيرة، فأحضر الكراكات من أوروبا، ولما أتت أخذوا فى تعميق الميناء؛ فتمّ بعد قليل من الزمن، وجعل لها إدارة مخصوصة سُمّيت : بإدارة ليمان رئيس، وجعل نظارتها لضابط يدعى : بوزجه أطه لى "مصطفى جاويش"، فكان أول رئيس يمان لميناء الإسكندرية، ولما كانت الدونتما الأصلية أحرقت فى "واقعة موره" آهتم "العزيز" بإيجاد سفن جديدة أخرى لتعزيز قوته البحرية، فوجّه عنايته أولا : لتشييد "دارصناعة"[1] مهمة، مع ما تحتاجه من المعامل والمصانع لإنشاء وترميم السفائن،

(١) أوّل تأسيس "دار الصناعة" فى مصر لعمل السفن وإعداد معداتها، كان فى جزيرة مصر [جزيرة الروضة] فى سنة ٥٤ هـ، ثم عنى أحمد بن طولون فى توسيعها وتحسينها، ثم نقلت إلى الفسطاط فى أيام الأخشيد فى أوّل القرن الرابع للهجرة، حتى لا يكون بينها وبين الفسطاط بحر، ثم أنشأ الفاطميون : "دارصناعة" فى المقس [خطة كبيرة كانت على شاطئ النيل وقتئذ؛ وكان بها جامع المقس الذى تهدّم وشيّد مكانه جامع أولاد عنان الآن] بقرب مدينتهم القاهرة.

ويراد بدار الصناعة ما نعبّر عنه اليوم : "بالترسانة" أو "الترسخانة" وهما منقولتان عن تلك، فإن الإفرنج لما آختلطوا بالمسلمين، وآفتتحوا بعض البلدان العربية أيام الحروب الصليبية، كان من جملة ما آقتبسوه عنهم : صناعة المراكب، كما آقتبسها العرب عن الأمم التى قبلهم. وسمى الأسبان "دارالصناعة" (Darcinah) وأخذتها عنهم سائر أمم أوروبا؛ فقال البرتغال : (Tarcen) و (Taracena) وقال الطليان فى أوّل الأمر : (Darsena) ثم (Terzana) ثم (Arzana) ثم (Arzanale).

وقال الفرنسيون والإنجليز : (Arsenal) وآستردّ العرب كلمتهم عن الأسبان : (Tarsanah) مصبوغة بلون إفرنجىّ بطريقة التركية، فقالوا كما قال الترك : "ترسانة" بل ترجمها بعضهم أكثر من الترك أنفسهم، فقالوا : "ترسخانة" مع أن الطليان لايزالون إلى اليوم يقولون : (Darsena) ولكنهم يريدون بها القسم الداخل فى جوف الميناء، حيث يربطون السفن المحتاجة للتعمير بعد نزع آلاتها وجهازاتها.

ويقال نحو ذلك فى لفظ "أميرال" (Amiral) الإفرنجية فإنها مأخوذة عن : "أمير البحر" أو "أمير الماء" العربية. وأوّل من آستعمل هذا اللقب فى أوروبا أهل جنوة وغيرهم من الطليان.

وكان الشروع فى ذلك سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) وٱشتغل العساكر فى بنائها وتمت سنة ١٢٤٥ هـ (١٨٢٩ م) وشحنها بالآلات والأدوات، وأحضر لها فى سنة ١٨٣٢م من مدينة " طولون " : مهندسا ماهرا يدعى : " سيرزى " (Cerisy) جعله باشمهندسا ورقّاه إلى رتبة البكوية . وهاك أسماء الورش والمصانع بدار الصناعة المذكورة :

عدد	
١	ورشة التيالة، لعمل الحبال
٢	« الحدّادين، لصناعة الحديد
٣	« القلوع لعمل الشراعات
٤	« السوارى، لصناعة الساريات
٥	« البُصَل والنظارات، لعمل ذلك
٦	« الدكمخانة، لصبّ الآلات
٧	« البوية، لصناعة الدهانات
٨	« المخرطة، لعمل البكرات وغيرها
٩	ورشة الترزية، لعمل السناجق والأعلام
١٠	« الفلائك، لصناعة الزوارق
١١	« النجارين، لصناعة النجارة اللازمة للسفن
١٢	« الطولومبات لصناعة الطولومبات
١٣	« الجلافطية، لجلفطة السفن
١٤	« البورغوجية، لثقب الأخشاب
١٥	« مخازن الذخائر والمهمات الحربية

§ وكان بدار الصناعة المذكورة : خمسة قزاقات : أى مزلقانات لصناعة السفن، وٱهتم "سيرزى بك" (Cerisy) المذكور مع "الحاج عمر" مهندس الترسانة القديمة بتعميق البحر من ناحية الترسانة الجديدة، حتى صيّراه فى عمق كاف لرسو أكبر السفن الحربية، ورتّبوا لها الصناع من كل نوع، وكانوا تحت ملاحظة : الحاج عمر المذكور . وكان لهذا الرجل ٱستعداد ومعرفة طبيعية غريبة فى بناء السفن، وقد تمكّن فى السنة الأولى من إنشاء سفينة من نوع "القباق" وجلب "العزيز" كثيرا من شبان المصريين من جميع المديريات لتعليمهم صناعة عمل السفن، ومايلزم لها من الآلات، ووزّعهم على المعامل، فاختص كل جماعة منهم بفرع من فروع إنشاء السفن.

ونبغ كثير منهم فى هذه الأعمــال ، حتى بلغوا درجة عظيمة ، وحصلت مصر بهم فى زمن قليل على عدّة سفن حربية عوّضت بها أساطيلها التى فقدت فى واقعة "نوارين" بل وزادت قوتها البحرية أضعاف ما كان لها ، وشيّدت عدّة من السفن المسماة : " نصف قرصان " أو " ميزة قرصان " ، فتوفّرت لديها أسباب النقــل والحمل ، وخصّصتها بنقل ما يلزمها من الأخشاب وغيرها ، وكان بعضها يشــتغل بالتجارة .

§ والحاصل أنــ صناعة إنشاء السفن بالإسكندرية ، وصلت لدرجة تضارع فى الجودة والمتانة : سفن أعظم البلاد الأوروپاوية ، وصار فى إمكان مصر صناعة كل ما تحتاجه سفن الدونما . ولمــا تحصّل " العزيز "على تصريح من الحضرة السلطانية ، يجيز له قطع الأخشاب اللازمة من غابات الأناضول ، عيّن لذلك الصناع والعمال تحت إمرة كل من : "الحاج حسن بك" نجار باشى دار الصناعة ، "والسيد أحمد" أحد عمالها . وبذلك صار بالإسكندرية : القدر اللازم من الأخشاب ، وكان المشتغلون بإنشاء المراكب وإصلاحها يبلغ عددهم : ٨٠٠٠ نفس من الأهالى الذين تخرّجوا على أيدى مهرة من الأوروپاويين ، وأتقن منهم نحو : ١٦٠٠ صناعة إنشاء السفن ، فاستغنت بذلك مصر عن آبتياع السفن من الخارج . وفتح العزيز أيضا مدرسة لتعليم نحو آثنى عشر ألفا من الجنود : الأعمال البحرية ، أخذهم من كل المديريات ، وكانوا يقيمون على الساحل بجوار طواحينــ الريح [الموجودة للآن بالشمال الشرقى من رأس التين] وجعلوا لهم فوق البر مركبا بصواريهــا وشراعاتهــا لتعليمهم آســتعمال الشراعات وغيرها . وكان ذلك تحت رياسة المسيو : " بيسون بك " (Besson) ولمــا تدرّبوا وزّعوهم على السفائن الحربية ، فانتظمت طوائف السفائن وصارت نظاماتها تحاكى النظامات البحرية بالأساطيل الأوروپاوية ، ونقل ما كان بتلك السفن من الملّاحين غير النظاميين إلى سفنه المسماة : " بميزه قرصان " التى جعل لها إدارة خاصة تحت

رياسة : "محمد قراقيش قبودان" ثم خلفه فيها : "محمد راشد بك" ثم بوغجه أطه أوزون "أحمد قبودان" وأدخل جملة تحسينات فى المدرسة البحرية التى أنشأها [(١)] سنة ١٢٤١هـ (١٨٢٥ م) وجعلها تحت نظارة : "حسن بك القبرسلى" وكانت المدرسة المذكورة بإحدى السفن الحربية ، ثم قُسِّمت هذه المدرسة إلى فرقتين : جعلت كل واحدة منهما بسفينة ، وتعيّن لنظارتها : "كنج عثمان بك" وسبب ذلك : أن العداوة كانت ٥ آستحكمت حلقاتها بين "حسن بك" السابق الذكر ، وبين "عثمان باشا" سر عسكر الدونما ، فانتهز الناظر المذكور فرصة خروج التلامذة يوم الجمعة ، ومرور السرعسكر بزورقه ، فأحرق جبخانة المدرسة بقصـد قتل السرعسكر ، فهلك هو ولم يصب السرعسكر بضرر . ثم سافرت إحدى الفرقتين بسفينة : "شير جهاد" ومعها قرويت عليه : "برغملى أحمد قبودان" وإبريق آخر قاصدة : "جزيرة كريد" . ولما كانت ١٠ على مقربة من الجزيرة ، قابلها "غليون روسى" وكانت الحرب قائمة بين الدولة

---

(١) وقد نبغ من هذه المدرسة البحرية كثيرون آشتهروا فى الأعمال والحروب البحرية ؛ وممن عثرنا على أسمائهم منهم : خير الدين قبودان ، وعبد اللطيف قبودان ، وأحمد نورى قبودان [الملقب بالجوخدار] وحسين شيرين قبودان ، وجعفر مظهر قبودان ، وحافظ خليل قبودان [وهؤلاء ترقّوا فيما بعد إلى رتبة ١٥ الباشوية] وحافظ قبودان مصطفى ، وبرغملى أحمد قبودان ، ومصطفى قبودان الكريتلى ، وحاجو قبودان ، وحافظ قبودان الشيرازى ، وبودرملى أحمد خوجه قبودان ، وعارف قبودان ، واسماعيل قبودان الكريتلى ، وأمين قبودان ، [الملقب بالطويل] وبوزجه اطه لى خليل قبودان ، وخورشيد قبودان ، وهدايت محمد قبودان ، وبابا سليم قبودان ، وأحمد شاهين قبودان ، وخورشيد قبودان [الملقب بأبى قصادة] ومحمد راشد قبودان ، وسليم قبودان ، ومرجان قبودان ، وويسل قبودان ، وابراهيم قبودان [الملقب بقره كوز] وعثمان قبودان [الملقب بقاح] وعثمان قبودان [الملقب بالبوق] وسليمان قبودان [الملقب بالبيرقدار] ومصطفى قبودان [الملقب بالبلاوجى] وبوغجه أوطه لى أمين قبودان ، وبوغجه أطه لى سليمان قبودان ، ومطوش قبودان ، وغيرهم ممن لم نعثر على أسمائهم .

والروسيا، فأطلق " الغليون " القنابل على السفن المذكورة بقصد أسرها، فتمكّنت " شير جهاد " لسرعة سيرها من الهرب ، وأسر الروس " القرويت " المذكور سنة ١٢٤٣ هـ (١٨٢٧ م) . وقد نبغ من هذه المدرسة البحرية كثيرون آشتهروا فى الأعمال والحروب البحرية ، كما آشتهر بعضهم فى حسن العمل عند ما نقلوا إلى إدارات أخرى . وفى تلك الأثناء آنتخب "العزيز" بعض ضباط البحرية ، وأرسلهم إلى فرنسا و إنكلترا، لإتمام علومهم بهما ، وممارسة الفنون الحربية على أساطيلهما، وأصحبهم بكتب التوصية على يد قنصلى فرنسا و إنكلترا، وكان الذين أرسلوا إلى فرنسا : "حسن افندى الإسكندرانى" و" شنان افندى" و" محمود أفندى نامى" الملقب بجركس؛ وإلى إنكلترا : " عبد الحميد افندى" و" يوسف آكاه افندى " و"عبد الكريم افندى" ولما أتموا علومهم ، عادوا إلى مصر، فوظّفوهم بالسفن الحربية، وكلّفوهم بترجمة القوانين والنظامات المستعملة بحارات الدولتين المذكورتين وكان " العزيز" أرسل أيضا إلى أوروپا : تلميذين آخرين لتعلّم فنّ إنشاء السفن وهما : "حسن افندى السعران" سافر إلى فرنسا، و"محمد افندى الأستانبولى" سافر إلى إنكلترا ولما أتقن هذان التلميذان ما أرسلا لأجله : عادا إلى الأوطان فوُظّفا فى دار صناعة الإسكندرية مكان " سيرزى بك " الذى آستقال لتعصّب تجّار الفرنج عليه، وهم الذين كانوا تعهدوا بشراء السفن لمصر من معامل أوروپا بالأثمان الباهظة ، لأنهم لما رأوا تقدّم الوطنيين فى صناعة السفن نسبوا حرمانهم هذا لصداقة" سيرزى بك " المذكور، وقيامه بما عهد إليه . ومع ذلك، فإن أولئك التجار لم ينجحوا فى تحويل نظر "العزيز" عن مقصده، حيث صارت " الترسانة " بعد آستقالة " سيرزى بك" وسفره : ناجحة فى أعمالها كما كانت، بل آزدادت همّة مهندسيها الوطنيين عن ذى قبل ، وآجتهد " حسن بك السعران " و" محمد بك

الأستانبولى" فى العمل بجدّ ونشاط وإتقان، حتى بلغت العمارة المصرية درجة وأهمية عظيمتين جدا . وكان المرحوم " محمد على باشا " جعل "عثمان بك نور الدين" سرعسكر على الدونما المصرية منذ سنة ١٢٤٣ هـ (١٨٢٧ م)، وقد بذل هذا الرئيس المـاهر قصارى جهده وعنايته فى إكمال التعليمات، وتنظيم قواعدها بمـا كان يصدره دائما من الأوامر على رجال البحرية لتطبيق القوانين على التعليمات، وآهتم قبودانات السفن بتنفيـذ هذه الأوامر بالدقة ، حتى بلغ النظام بالأساطيـل المصرية ، فوق ما كانت تتطلّع إليه الآمال ، وكان يخرج بالسفن سنويا — زمن الصيف — لإجراء المنـاورات وتدريب الجنود على الحركات البحرية الحربيـة مدّة ثلاثة شهور ، حتى وصلت العمارة المصرية : درجة رفيعة جدّا ، وأصبحت تمـاثل عمارة الدولة العلية فى العَـدَد والعُدَد . ولبس القطر المصرى بها حُلّة الفخر، حيث لم ير مثلها جميع الدهر سيّما عند ما بنى المنـار الموجود الآن برأس التيـن ، وآزداد به الأمن على السفن الصادرة والواردة إلى ميناء الإسكندرية ، وكان المباشر لبنائه المهنـدس الشهير : "مظهر باشا" وجعل آرتفاعه ستين مترا ، ونوره يشاهد من ١٦ ميلا ، بل أكثر من ذلك .

§ ولـما مات الأميرال الثـانى : " بيسون بك الفرنسى " تولى بعـده المسيو : " هوسار بك " وكان آستقدمه "محمد على باشا " لتعليم ولده الأمير : " محمد سعيد باشا " الفنون البحرية . ولـما أحرز "سعيد باشا " من ذلك نصيبا ، تعين قبودانا على "قرويت دمنهور" برتبة صاغقول أغاسى، وجعـل فى معيته : الموسيو "كنيك" (Kœnig) واليوزباشيه : "عرفان قبوادن" (عرفان باشا) و"ذو الفقار قبودان" (وهو ذو الفقار باشا ناظر الخارجيـة سابقا) والمرحوم والدى "سرهنك

قبودان" بوظيفة مفردات سنة ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م) ولما توفى "مصطفى مطوش باشا"[1]
سرعسكر الدونما المصرية بعد ذلك بسنتين : نصب " محمد على باشا " ولده
"محمد سعيد باشا" مكانه سرعسكرا عاما على الدونما المصرية، وسواريا للغليون
المسمى : "بنى سويف" وصار "هوسار بك" (Housard) المذكور، أميرالا ثانيا،
ومعه اليوزباشى : "منويلى" (Manueli) مترجما له ، وكان أغلب رؤساء الدونما
يوظفون فى ذلك الوقت، فى مصالح "دار الصناعة" مدّة إقامة الدونما فى ميناء
الإسكندرية، وأمر " محمد على باشا " إذ ذاك : بعمل حوض فى " الترسانة "
وأحال هـذا العمل على " مظهر باشا " و " بهجت باشا " وكانا قدما حديثا من
أوروبا، وضمّ إليهما : "لينان بك" (Linant) ثم "موچيل بك" (Mougel)
وهو الذى قام بإنشاء الحوض المذكور، وكان تمامه سنة ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م)
وعاد هذا العمل على سفن مصر والسفن الأجنبية بالفوائد العظيمة . وفى هذا الوقت
استعملت الجنازير والسلاسل فى السفن المصرية بدل الأحبال سنة ١٢٥٧ هـ
(١٨٤١م) فترقّت بذلك حالة السفن، وقد عثرت على أسماء سفن مصر ومقاساتها
وأبعادها فى الوقت المذكور : محرّرة بيد المرحوم : " حسن باشا الإسكندرانى "
عند ولده صاحب السعادة : "محسن باشا" فأوردتها هنا كالآتى إتماما للفائدة :

---

(١) مصطفى مطوش باشا، أصله من "قوله" وكانت صناعته قبودانا بالمراكب الشراعية التجارية، ولما قدم إلى الديار المصرية : استخدمه محمد على باشا فى دونمته، وكان يثق به ويعلم مقدار معارفه البحرية، بجعله كوكيل للدونما التى بعث بها لمساعدة الدولة فى حرب " موره " سنة ١٢٣٦ هـ، وحضر واقعة "نوارين" سنة ١٢٤٣ هـ، ثم جعل "وريس" أميرالا للدونما التى أرسلت لضرب عكاء تحت قيادة "عثمان نور الدين باشا" سنة ١٢٤٧ هـ، ثم جعله محمد على باشا سرعسكرا على الدونما المصرية بدلا من " عثمان باشا" سنة ١٢٤٩ هـ، وقد بقى رئيسا على الدونما المصرية إلى أن توفى سنة ١٢٥٩ هـ (١٨٤٣ م) .

بيان أسماء سفن مصر ومقاساتها وأبعادها فى أيام محمد على :

نوع السفينة	اسمها	محل إنشائها	اسم قبوداناتها زمن سر عسكرية "محمد سعيد باشا"	عدد المدافع	عدد الطائفة
قباق	عكاء	اسكندرية	عثمان بك قاح	١٠٦	١١٤٨
»	مصر	»	شاں قبودان	١٠٦	١٠٩٧
»	بنى سويف	»	الأمير محمد سعيد باشا	١٠٢	١٠٣٤
»	المحلة الكبرى	»	بوزجه اطه لى خليل بك	١٠٠	١٠٣٤
»	المنصورة	»	طاهر قبودان	١٠٠	١٠٣٤
»	الاسكندرية	»	جركس محمود قبودان	١٠٠	١ ٣٤
»	حمص	»	عثمان نوتى بك	١٠٠	١٠٣٤
»	حلب	»	أزميرلى محمد قبودان	١٠٠	١٠٣٤
»	الفيوم	»	عبد اللطيف بك	١٠٠	١٠٣٤
»	بيلان	»	حسين شرين بك	٨٦	٩٠٠
»	أبو قير	»	حافظ خليل قبودان	٨٤	٧٣٦
فرقاطه	سوف	»	عثمان نوتى بك	٦٤	٥٥٨
»	رشيد	تريستا	السيد على قبودان	٦٠	٥١٠
»	الجعفرية	ليفورن	برغمه لى أحمد قبودان	٦٠	٥١٠
»	شير جهاد	»	نورى قودان بك	٦٠	٥١٠
»	البحيرة	تريستا	كاور خورشيد قبودان	٦٠	٥١٠
»	دمياط	اسكندرية	محمد هدايت قبودان	٥٦	٤٧٠
قرويت	رومه	تريستا	بجان قبودان	٤٥	٣٠٠
»	رهبر جهاد	مرسيليا	على رشيد قبودان	٣٠	٢٠٠
»	طنطا	اسكندرية	دلى خسرو قبودان	٢٨	١٨٦
»	واسطه جهاد	جزاير العرب	دلى محمد خورشيد قبودان	٢٨	١٨٦
»	دمنهور	اسكندرية	مرجان قبودان	٢٦	١٨٦
»	جناح بحرى	جنوة	زتيل قبودان [وكانت لتعليم التلامذة]	٢٤	١٨٥
»	ملك جهاد	مرسيليا	غير معروف	٢٤	١٨٥
»	جهاد بيكف	جنوة	حسن أباظه قبودان	٢٤	١٨٥
»	فوه	اسكندرية	مرجان قبودان	٢٤	١٨٥
»	شاهد جهاد	»	ابراهيم قبودان	٢٤	١٨٥
أبريق	بادئ جهاد	أمريكا	غير معروف	٢٤	٨٩
»	سمند جهاد	مرسيليا	أحمد شاهين قبودان	١٨	٨٩
»	نمرة ٢	أمريكا	الياس قبودان	١٨	٨٩
»	شهبار جهاد	مرسيليا	حسن الأرناؤد قبودان	١٨	٨٩
عوليت	صاعقة	ليفورن	طاهر قبودان	٢٤	٨٨
»	تمساح	مرسيليا	غير معروف	١٦	٨٨
»	كوتر نمرة ٢	اسكندرية	سرهنك قبودان	١٢	٥٢
فرقاطه بخارية	النيل	انجلترا	غير معروف	٦	٥٢

***

ملاحظة : ويتبع هذه السفن ثلاث بواخر أخرى، وهى وابور "بروار بحرى" صنع سنة ١٢٦٦ هـ ، ووابور "أسيوط" سنة ١٢٦٢ هـ، ووابور "جيلان بحرى" سنة ١٢٦٥هـ، ووابور "الشرقية" وسُمّى فيما بعد : بفرقتين مخبر سرور سنة ١٢٦٢هـ، ثم رُكّبت آلاته بلندرة ، ووابور "رشيد" : وهو قرويت سنة ١٢٦٢ هـ ، وسفائن التجارة الأميرية : وهى سفن للنقل وغيرها، ولم يكن ضباط هذه السفن وقبوداناتها تبق فى سفينة واحدة، بل كانت تنتقل من سفينة إلى أخرى بحسب الترقيات وظروف الأحوال، وغير ذلك كما هو معلوم .

النفقات البحرية المنصرفة على هذا الأسطول :

٣٧٧٥٥٣ ... ... جنيها

بيان ما خصّ كل جندى فى النفقات التى صرفت على الجيش البحرى :

عدد الجنود : ١٦٨٠٦ على ٣٧٧٥٥٣ جنيها : النفقات ، يخص الجندى : ٢٢ جنيها و٤٦٥ مليما .

***

مجموع قوة الجيش البرى والبحرى فى سنة ١٨٣٧ م :

القوة	النفقات		القوة	النفقات	
عدد	جنيه		عدد	جنيه	
١٢٣٢٢٥	٧٥٤٦٠٤	الجيش البرى النظامى	١٦٤٦٩٦	٨١١٠٠١	مجموع الجيش البرى
٤١٤٧١	٥٦٣٩٧	« « غير النظامى	١٦٨٠٦	٣٧٧٥٥٣	الجيش البحرى النظامى

والميزانية المصرية فى السنة المذكورة، كان مقدارها : ٢٤٢١٦٩٠ جنيها .

***

§ وفى الختام أُلقى هذا الاقتراح على مسامع رجالات الأمة والحكومة، فإن وقع لديهم موقع الاستحسان "وإنى لأطمع فى ذلك" كانت الغاية المرجوة لى، وهو :

« أن تقيم الحكومة احتفالا تاريخيا لمرور مائة عام على تشكيل الجيش النظامى »
« فى مصر . » ٥

« ولها أن تختار أحد التاريخين الآتيين، مبدأ لمرور المائة عام : »

« إما سنة ١٢٣٦ هـ (١٨٢٠ م)، وهى السنة التى أرسلت فيها المماليك إلى أسوان»
« لتعليمهم . وهذا المبدأ وإن كان مضى عليه أكثر من قرن، إلا أن ما كنا فيه من »
« الظروف الاستثنائية يقيم لنا العذر فى اختياره . »

« وإما سنة ١٢٤٠ هـ (١٨٢٤ م)، وهى السنة التى دخلت فيها الألايات المصرية » ١٠
« النظامية الأولى : القاهرة لأول مرة فى حياة مصر الجديدة . »

« وهذا التاريخ أفضل من الأول، لاتساع الوقت له، وسلامته من الاعتراض »
« الذى ذكرناه، فضلا عما فيه من مراعاة القومية المصرية، الجديرة بالمراعاة من »
« كل وجه . »

« ولابد أن يكون للجيش المصرى فى هذا الاحتفال: الدور المهم فى تمثيل هذه » ١٥
« الذكرى ؛ فمن المستحسن أن تلبس أقسام من جنوده : الملابس التى كانت »
« تلبسها جنود الجيش المصرى فى القرن الماضى . »

« وإنى أترك بعد ذلك المجال لغيرى، فى اقتراح الكيفية التى يكون عليها هذا »
« الاحتفال الجليل . »

« والله المسئول أن يأخذ بيد أمتنا العزيزة، إلى كل ما فيه صلاحها وفلاحها . » ٢٠

*
* *

§ هذا ما دبّجه يراع حضرة صاحب السمو الأمير الجليل " عمر طوسون " وإنا نضاعف واجب الشكر لسموّه على حسن عنايته بمثل هذه الأبحاث التاريخية النافعة، وعلى تذكيره الأمة من وقت لآخر، بشيء من تاريخها الماضي المجيد الذي يبعث فيها روح النهضة القومية الشريفة .

§ ونقابل مع الارتياح التام والسرور العظيم : اقتراح سموّه الجليل في عمل احتفال تاريخيّ لمرور مائة عام على تشكيل الجيش النظامي في مصر؛ تشترك فيه الأمة المصرية الناهضة مع الحكومة والجيش، لاسيما وقد حلّ ميعاده في هذا العام (سنة ١٩٢٤ م) فيجب على الأمة المصرية على بكرة أبيها — وفي مقدّمتها الشباب الناهض — أن تحلّ هـذا الاقتراح العظيم : محلّ الاعتبار والإنفاذ، تحقيقا لرغبة حضرة صاحب السمو الأمير الجليل الذي نذكر لسموّه على الدوام بكل فخر وشكر: أياديه البيضاء في خدمة مصر وأنه كان — حفظه الله — في مقدّمة حضرات أصحاب السمو الأمراء الأجلّاء بانضمامهم للحركة الوطنية المباركة، وتشجيعهم لها بنفوذهم الشامل وعطفهم الكامل؛ لاسيما وأن الحكومة الآن في يد "وزارة الشعب المحبوبة" التي يرأسها ذوالرياستين الرئيس الجليل والزعيم المفدّى حضرة صاحب الدولة " سعد زغلول باشا " أبقاه الله لتحقيق الأماني القومية وأيّده بروح من عنده .

§ والأمة المصرية الناهضة التي أصبحت — ولله الحمد — تقدّر عمل المجاهدين في رفع شأن الوطن، لايفوتها إحياء هذه الذكرى الخالدة، لأن الذي وضع نَوَاة هذا الجيش النظامي: مؤسس البيت العلوى السامي، منقذ مصر ومحييها، ساكن الجنان المغفور له "محمد على" الذي انتقل إلى رحمة مولاه ولسان حاله يقول :

تِلْكَ آثَارُنَا تَدُلُّ عَلَيْنَا * فَانْظُرُوا بَعْدَنَا إِلَى الآثَارِ .

*

فهرس محتويات الكتاب

صفحة

مقدمة الكتاب :

قلعة محمد على لا قلعة نابليون :

*

صفحة

*

فهرس الصور الشمسية الواردة فى الكتاب

فهرس الخرائط الواردة فى الكتاب

*

lui qui appela d'éminents professeurs d'Occident pour la diffusion des sciences modernes parmi les sujets de son royaume et envoya des missions scientifiques en Europe pour en rapporter les sciences, les lumières et les secrets d'une civilisation avancée.

*
* *

Voilà donc ce que j'ai voulu démontrer par cette dissertation. Peut-être y trouvera-t-on un argument écrasant contre ceux qui se laissent aveugler par l'orgueil de leurs idées. Puissent ces derniers renoncer à leurs vieux préjugés et se rendre à l'évidence! Car l'adhésion à la vérité est un acte méritoire devant Dieu et l'obstination dans l'erreur ne mérite que la réprobation divine.

Pour finir, je prie les personnes préposées à la conservation des monuments anciens de vouloir bien, dans l'intérêt de la vérité historique supprimer l'inscription peinte sur la porte de la forteresse. Puissions-nous voir bientôt la réalisation de ce souhait !

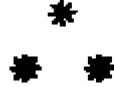
Mohammed Abdel-Gawad El-Assmaï

Le Caire, le 4 février 1918.

leurs de pierres et ouvriers de n'avoir plus à travailler dans le chantier d'aucun constructeur quel qu'il fût, mais de s'assembler tous sur les chantiers du pacha du côté de la montagne."

A la page 108 du même tome il dit encore :

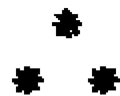
" Au mois de Moharram de l'an 1225, le pacha demanda l'aplanissement final de la route qu'il avait fait construire pour faciliter l'ascension de la montagne du Mokattam, dont nous avons parlé plus haut. "



Le Cheikh El Ragabi a été soutenu par un des généraux de Bonaparte, le Maréchal Marmont qui a visité l'Egypte au temps de Méhémet-Aly en 1833; il a décrit la situation à cette époque dans ses memoires intitulés :

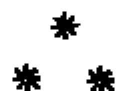
Voyage en Hongrie, en Transylvanie, dans la Russie Méridionale, en crimée et sur les bords de la Mer d'Azzoff, à Constantinople, dans quelques parties de l'Asie-Mineure, en Syrie, en Palestine et en Egypte T. I-IV Paris 1837,

"Comme la citadelle est dominée par le mont Moqattam, qui est la fin de la chaîne arabique, le pacha a fait élever un fort pour en occuper le sommet. C'est un fort à la turque, mais fait avec soin et capable de résistance; imprenable pour ceux qui aujourd'hui pourraient l'attaquer, car, dans les combinaisons que l'on peut prévoir, on ne doit pas faire entrer celle d'un siège avec des moyens réguliers. C'est un carré de petite dimension, avec revêtement, au milieu duquel il y a une tour. Le carré et la tour sont armés de canons."



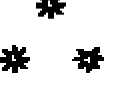
Au surplus, personne ne niera que c'est feu Méhémet-Ali pacha qui fit monter l'Egypte au rang des grandes nations. C'est lui qui construisit des routes, éleva des fortifications, creusa des canaux, améliora l'agriculture, jeta les fondements des barrages, bâtit des usines, activa l'industrie et fonda des écoles primaires, secondaires et supérieures; c'est

le fort par une garnison de soldats formés à son école de bravoure militaire, disposa lui-même les postes des sentinelles et fit garnir le fort de munitions abondantes et de canons défiant un assaillant éventuel. Bref, il en fit un vrai joyau en même temps qu'un objet de terreur pour l'ennemi. Il est incontestable que cette fortification constitue un ouvrage indispensable pour le renforcement défensif de la grande Citadelle. Aucun des capitaines et des rois qui ont précédé notre pacha n'a eu l'idée d'une œuvre semblable. C'est que les grandes œuvres attendent les grands génies pour se réaliser. . . ."



Aussitôt après avoir lu cette relation, je me rendis à la dite forteresse avec un ingénieur consommé de mes amis pour m'assurer de l'existence de la citerne en question. Nous montâmes par le chemin indiqué et nous arrivâmes à la plate-forme sur laquelle est sise la fameuse forteresse. En y entrant nous trouvâmes la citerne au milieu et nous y descendîmes. En voici la description technique de l'intérieur donnée par mon excellent ami:

Longueur de la citerne 1J m. 20 ; largeur 10 m. 20 ; hauteur du fond au sommet de la voûte 6 m. 90 ; profondeur à partir de la margelle 5 m. 10. Les quatre murs et le fond sont parfaitement orientés. On y voit 4 soupiraux, 2 dans le sens de la longueur et 2 dans le sens de la largeur, 2 colonnes cylindriques en granit, 3 autres octogonales en pierre rouge, 2 margelles l'une à l'est et l'autre à l'ouest. Chaque margelle a 0 m. 50 d'ouverture et 0 m. 55 de hauteur.



Nous savons, par le savant historien El-Gabarti, la date où commencèrent les travaux de la route et de la forteresse. A la page 99, tome IV de son livre (Edition Boulac), on lit ce qui suit :

"Le 23 Ragab l'an 1224 un crieur public fut chargé spécialement de proclamer aux entrepreneurs de construction, aux maçons, tail-

très élevée et du sommet on voit un plateau s'étendre à une altitude constamment supérieure à celle de la Citadelle. Le cas même s'était autrefois présenté où l'ennemi ayant occupé le sommet avait pu de là s'emparer de la Citadelle. L'esprit pénétrant, sagace, prévoyant dont était doué notre souverain se révèle dans sa conception grandiose d'établir une communication entre le sommet de la montagne et la grande Citadelle afin de la mettre hors de danger par cette merveille de solidité et d'architecture. Pour ce faire, il fit appeler des ouvriers et des praticiens, les réunit sur les lieux et entreprit immédiatement l'œuvre qui lui méritera des éloges universels. Sur son ordre, on se mit à tailler des pierres, à ajuster de gros blocs, à transporter sur le chantier tous les matériaux nécessaires, plâtre, etc. Chaque artisan avait à faire un travail bien déterminé. Les constructions prenaient naissance à la porte de la Citadelle et se prolongeaient au-delà dans les meilleures conditions de solidité et d'exactitude. On visait à faire un ouvrage extrêmement solide, durable surtout et parfait sous tous les rapports. On poursuivit ainsi les travaux jusqu'au flanc de la montagne, toujours avec la même préoccupation de solidité et de précision. Soucieux des intérêts des passants qui fréquentent la route transversale, Méhémet-Ali eut soin de ménager, au moyen d'arcades, des ouvertures de communication. Grâce à cette nouvelle construction, un homme à cheval peut au sortir de la grande Citadelle se lancer à fond de train sur le nouveau chemin, parvenir tout d'un trait au sommet de la montagne et puis, à lui tout seul, faire volte-face contre une troupe nombreuse, sans se fatiguer outre mesure. Oh ! l'admirable innovation! Honneur au génie inventif de son auteur! et lorsqu'on Le chemin terminé fut en possession d'un système parfait de communication avec la montagne, le Pacha donna ordre de bâtir au sommet une forteresse qui inspirerait la crainte à l'ennemi par sa force imposante et de creuser une citerne profonde pour la conservation de l'eau douce. La forteresse fut bâtie conformément à ces ordres, avec des tours et selon les règles précises du génie militaire. Elle se dresse là maintenant comme un astre radieux, beau spectacle pour les yeux. La citerne achevée et remplie d'une eau limpide, Méhémet-Ali fit occuper

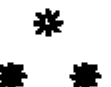
de l'histoire égyptienne comprise entre l'époque des Ayoubites et l'avènement de Méhémet-Ali. Mes peines furent récompensées par la découverte que j'eus le bonheur de faire d'un manuscrit rare conservé à la Bibliothèque Sultanieh, Section Histoire, No. 585. C'est une " Biographie de feu Méhémet-Ali," (mort en 1265 de l'Hégire,) écrite l'an 1245 par le cheikh Khalil Ibn Ahmed El-Ragabi, un des contemporains du pacha, sur les instances du Cheikh Ul-Islam Mohammed El-Aroussy. L'auteur débute par un résumé de l'histoire égyptienne antérieure à l'Expédition française; il expose la situation du pays sous les beys, nous trace le portrait de Méhémet-Ali, nous raconte l'expulsion qu'il décréta contre les éléments de discorde, Mamelouks ou autres, le mouvement de posperité qu'il imprima au pays par le progrès de l'agriculture et énumère enfin certains monuments qu'il fit élever. Poursuivant mes investigations sur cette excellente piste et ayant à peine parcouru ce manuscrit, je trouve enfin, à ma grande joie, l'objet de tant de recherches. Vous pensez bien que je m' empresse de mettre ce document au grand jour afin de rendre service à l'histoire vraie.

*
* *

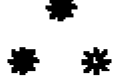
Pour ne laisser aucune place à la confusion ou au doute, je donne au lecteur les paroles textuelles du biographe ci-dessus. Au chapitre IV. qui fait mention des monuments élevés par feu Méhémet-Ali, on lit ce qui suit :

"Ce que nous devons à notre feu souverain tient du prodige. Les monuments qu'il nous a laissés, les écoles et les sociétés savantes qu'il créa sont innombrables. Citons-en quelques-uns des plus intéressants et des plus dignes de mention. D'abord le chemin construit si solidement et qui met en communication la Citadelle du Caire avec la hauteur du Mokattam. Le seul chemin qui existait auparavant était celui qui sépare la Citadelle du Mokattam. Or ce chemin de plus de mille coudées ne pouvait, malgré sa largeur, servir à la garnison de la Citadelle pour se porter rapidement sur la hauteur du Mokattam. De plus, cette disposition pouvait permettre éventuellement à l'ennemi de gravir la montagne, de s'établir en face de la Citadelle et de l'attaquer. Car la montagne est

le temps d'élever autour de ce fort, une Babel d'élucubrations nébuleuses. Pas de réponse : des jours et des mois se passèrent et les savants ne sortaient pas de leur mutisme.



On conçoit l'intérêt que nous avons à solutionner ce problème historique par des recherches minutieuses, en vue de conjurer les errements et les complications inextricables où se sont engagés certains prétendus critiques. N'avait-on pas été jusqu' à faire remonter à Saladin la construction de ce fort, invoquant le témoignage d'El-Makrisi sur la grande Citadelle du Caire bien connue de tous les historiens (Voir le journal " El-Mirah" No. du 18 mai 1917). D'autres ont prétendu placer sa fondation sous les Mamelouks. A l'heure actuelle, les professeurs et les étudiants égyptiens et européens sont si persuadés de son origine napoléonienne qu'ils n'ont pas hésité à faire peindre sur la porte d'entrée cette inscription en français: "Souvenir de l'Expédition Française," sans donner d'ailleurs aucune preuve de leur assertion.



Située sur le chemin de la forêt pétrifiée dont l'excursion s'impose à tout étudiant profane ou religieux, cette forteresse est devenue un sujet d'étude pour les archéologues. Pendant qu'elle résiste encore aux assauts destructeurs du temps, il convient de chercher à quel personnage historique on doit l'attribuer.

J'ai passé des nuits dans les veilles poursuivant mes recherches sur les monuments que j'ai visités, lors de mon excursion à la forêt pétrifiée en compagnie d'un groupe d'amis, étudiants aux écoles secondaires et supérieures. Seules les personnes adonnées à de pareilles études peuvent se faire une idée des difficultés que j'ai recontrées dans mon entreprise.

La forteresse en question mérite des recherches sur l'authenticité de son origine; comme j'en fais mention dans la relation illustrée de mon excursion que je compte livrer bientôt à la publicité sous le titre " La Forêt pétrifiée, la Source jaillisante, l'Errement dans le désert", Je me mis à parcourir tous les manuscrits et imprimés se rattachant à la période

*

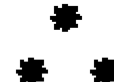
LE FORT MÉHÉMET-ALI

ET

NON FORT NAPOLÉON

ÉTUDE HISTORIQUE ARCHÉOLOGIQUE[1]

On se rappelle les opinions contradictoires qui ont été émises sur l'origine de ce fort. Désireux d'établir ce qu'ils croyaient être la vérité, poètes et prosateurs firent entendre une telle clameur que la plupart des journaux et des revues intervinrent tour à tour. A ce moment, le cheikh El-Khodari, Professeur d'histoire à l' Université Egyptienne, après un long silence diversement interprété, s'occupa de cette affaire et donna une opinion, qui, exprimée à temps voulu, aurait prévalu et aurait épargné aux journalistes bien des polémiques. On croyait à bon droit le cheikh capable de porter un jugement basé sur des recherches minutieuses; on était persuadé qu'en nous donnant le nom du fondateur de la forteresse, il nous aurait tirés de l'incertitude où nous nous débattions. Mais hélas ! le cheikh El-Khodari refusa de se prononcer. " J'ignore, " disait-il, ce qui fait attribuer la construction de ce fort à celui à qui on " l'attribue communément; d'autre part rien ne me donne la certitude " qu'on puisse l'attribuer à quelque autre. " N'ayant pas trouvé la vérité, le cheikh se rangea parmi les indécis.



On s'adressa alors aux érudits qui cherchent la vérité historique dans les source originales et s'entendent à pénétrer le mystère des vieux papiers; on les pria d'élucider cette question et ne pas laisser aux polémistes

---

(1) Nous allons reproduire ici le texte français de notre recherche sur l'histoire de la Citadelle Mohammed Aly comme il a été publié lors de sa parution avec mention des noms des journaux étrangers qui l'ont publié en tout ou en résumé et ceux qui en ont fait allusion.

Ainsi des journaux français : "La Bourse-Egyptienne" (du Caire) "La Bourse-Egyptienne" (d'Alexandrie) le 19 Février et les 20 et 23 Mars 1918; et le "Journal du Caire" le 28 Février 1918. Et des Journaux Anglais la "Gazette", le 14 Février 1918; et "L'Egyptian Mail" le 21 Février 1918.



Sire,

Pendant longtemps, les historiens et les archéologues spécialisés dans l'étude des monuments égyptiens dirent que le fort construit au sommet du Mokattam était l'œuvre de Napoléon. Des discussions assez vives eurent même lieu à ce sujet dans la presse, au début du règne de Votre Majesté, sans que l'on arrivât cependant à s'entendre. Je me livrai, de mon côté, à une enquête minutieuse; et les recherches très approfondies que je fie me permirent de conclure que ce fort est l'œuvre de l'Auguste Ancêtre de Votre Majesté, le Grand Méhémet Ali, l'illustre créateur de l'Egypte Moderne et fondateur de la Dynastie Royale. Je me suis donc empresé de publier, en différentes langues, le résultat de recherches qui me paraissent avoir éclairci suffisamment ce point d'histoire.

Votre Majesté ayant daigné accepter que ce modeste travail Lui soit dédié, j'en ai fait l'objet d'une petite brochure spéciale, publiée sous le règne florissant de Votre Majesté et honoré de Son portrait. Cette étude est suivie de quelques extraits des commentaires de la Presse européenne et arabe.

Que Votre Majesté daigne accueillir ce travail avec bienveillance et en excuser les lacunes. Je prie Dieu d'accorder à Votre Majesté et à Son Altesse Royale le Prince Farouq, longue vie, gloire et prospérité pour le plus grand bien de l'Egypte.

Je suis, Sire,

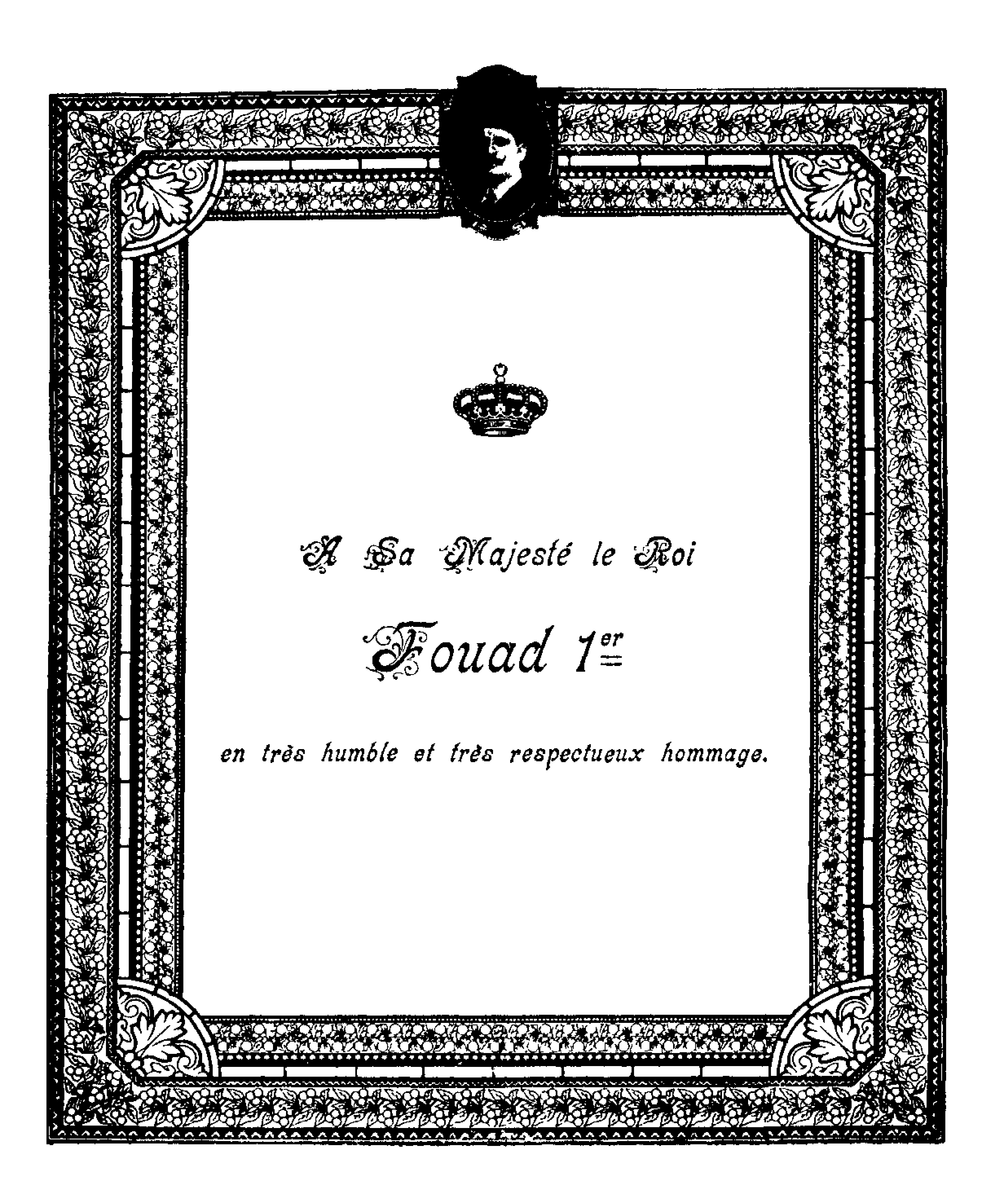
de Votre Majesté,

le très humble et très fidèle

serviteur et sujet,

Mohamed Abdel Gawad El-Asmaï.

*



A Sa Majesté le Roi

Fouad 1er

en très humble et très respectueux hommage.

*

*

Le Fort Méhémet-Ali

Etude Historique Archéologique

prouvant que c'est le Fort Méhémet-Ali
et non Fort Napoléon.

PAR

Cheikh Mohamed Abdel-Gawad El Asmaï

à la Bibliothèque Egyptienne.

LE CAIRE.

IMPRIMERIE DE LA BIBLIOTHÈQUE EGYPTIENNE.

1342 A.H. = 1924 A.D.

*

Le Fort Méhémet-Ali

Etude Historique Archéologique

prouvant que c'est le Fort Méhémet-Ali
et non Fort Napoléon.

PAR

Cheikh Mohamed Abdel-Gawad El Asmaï

à la Bibliothèque Egyptienne.

LE CAIRE.

IMPRIMERIE DE LA BIBLIOTHÈQUE EGYPTIENNE.

1342 A.H. = 1924 A.D.